TH-3737/1

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie

جامعة أبي بكر بلقايد

تلمسان الجزائر

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

شعبة الآداب والحضارة

جامعة بوبكر بلقايد - تلمسان -
كلية الآداب و اللغات
مكتبة اللغة و الأدب العربي

نسخة رقم 01719
تاريخ 2012/9/13
الرقم

تخصص حضارة عربية إسلامية

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر في الحضارة العربية الإسلامية

بعنوان:

التمجيد الاستشراقي لحضارة الإسلام

دراسة تحليلية نقدية لكتاب

شمس الله تسطع على الغرب

إعداد الطالب:

عبد الناصر بلجيلالي.

لجنة المناقشة:

د. عبد الحفيض بورديم/مشرفا

د. محفوظ سالمي/ عضوا مناقشا

د. محمد شرابي/ عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 2010-2011

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

أوجهه شكري إلى أستاذي ومعلمي الفاضل عبد الحفيظ بورديم، ولجنة المناقشة، وإلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل من الطلبة والزملاء والأساتذة الفضلاء.

ونسأل الله التوفيق والسداد والسير على درب الأنبياء والصديقين والشهداء.

إهداء

بفضل الله تعالى الذي سطر لنا طريق الحياة ووهب لنا التوفيق والسداد ومنحنا الرشد والثبات وأعاننا على كتابة هذا البحث العلمي الذي أتمني أن يرقى إلى مستوى قارئيه.

وأهدي هذا العمل إلى:

-الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما وأتمنى أن أكون لهما قرة عين

-إلى كل من علمني حرفا وأهداني علما وحكمة حتى أسير بهما في درب حياتي.

-إلى كل طلبة جامعة تلمسان.

-إلى كل مسلم يعرف معنى الإسلام ويعمل به.

-عبد الناصر بلجيلالي-

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعين به، ونعود بالله من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا فمن يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا أما بعد:

فهذا الموضوع الموسوم بعنوان:(تمجيد الإستشراق في حضارة الإسلام من خلال دراسة تحليلية نقدية لكتاب شمس الله تسطع على الغرب).

ارتأيت أن أقدم ما كتبته المستشرقة الألمانية من تمجيد لحضارة الإسلام في شتى المجالات " ثقافة، علوم، فن..." فلقد قامت بتتبع أمور منها الصغيرة و منها الكبيرة عن الحضارة العربية الإسلامية، ومن خلال هذا التتبع والتمجيد لحضارتنا يبقى هناك نوع من الشك والتردد حول هذا العمل الذي قامت به المستشرقة، فلقد ذكرت أن هناك ما يناهز الثمانية والتسعين في المائة من المستشرقين لا يعترفون بهذه الحضارة نظرا لتداخل عدة عوامل " دينية، تاريخية، ثقافية" مما يجعلنا نتساءل عن مدى هذا التمجيد الذي انفردت به المستشرقة الألمانية إضافة إلى قلة قليلة من المستشرقين، حول تمجيدهم لحضارة غير حضارتهم مما يدفعنا إلى طرح مجموعة من الإشكاليات حول هذه الأعمال:

ما محتوى هذا التمجيد وما الهدف منه؟

هل هذا التمجيد خطرا على العقل العربي؟

والملاحظة التي تطرح في الموضوع هو ذلك التنافر بين الشرق والغرب على مدى العصور، إلا أنه هناك أعمالا تقدم يتطرق أصحابها لمزايا ومحاسن حضارة غير حضارتنا، وثقافة غير ثقافتنا، وهذا ما يجعلنا نقدم مجموعة من الفرضيات ومن بينها:

1-هذه الأعمال مجرد دراسات موضوعية وتتبع لأحداث تاريخية.

2- مجرد إلهاء العقل العربي عن إنتاج الأفكار من خلال ذكر تاريخ سلفهم.

3- تقديم دراسة عن مرحلة تاريخية وجدت فيها حضارة نبتت من العدم.

4- الإقتداء بهذه الحضارة الفريدة.

أما فيما يخص الصعوبات التي اعترضتني في هذا البحث وكانت عبارة عن عقبات فهي شتى نذكر منها:

1-الكتاب الذي هو محل دراسة هو لمؤلفة ألمانية يعني أنه مكتوب بلغة مؤلفته " الألمانية" وهذا ما يعني أن الكتاب المعتمد عليه هو مترجم إلى اللغة العربية ولم أرجع إلى لغته الأم.

2-قلة المصادر والمراجع التي تتكلم عن الإستشراق.

3صعوبة دراسة الموضوع من حيث تواجد تنافر بين الشرق و الغرب.

4-عدم إيجاد المؤلفات التي تعالج إشكالية: تمجيد الإستشراق لحضارة الإسلام.

أما منهج البحث فهو يتماشى وموضوع البحث وهو منهج تحليلي نقدي وهو المنهج الذي يتلاءم مع موضوع الدراسة.

أما فيما يخص فصول البحث فاعتمدت على تقسيم البحث إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: التمجيد الإستشراقي للثقافة.

و يشتمل على العقل والترجمة وصناعة الكتاب والتعليم.

الفصل الثاني: التمجيد الإستشراقي للعلم.

ويتضمن الطب، والفلك، الرياضيات.

الفصل الثالث: التمجيد الإستشراقي للفن.

الموسيقى والزخارف.

أما المصادر والمراجع فقد اعتمدت في جل بحثي على مؤلفات المستشرقين وهي مؤلفات مترجمة إلى اللغة العربية منها: شمس الله تسطع على الغرب لزيغريد هونكه.

وكتاب (وعود الإسلام) **لروجيه غارودي**. وكتاب (الشرق في مرآة الغرب)**برند منوئيل فايشر**.

أما المؤلفات العربية فقد اعتمدت على كتب **مالك بن نبي** إلى جانب مقدمة **بن خلدون**.

ومن النتائج المتوقعة في هذا البحث هي:

1-معرفة مدى تأثير التمجيد الإستشراقي على العقل العربي وآثاره فيه.

2-التمجيد مجرد دراسة قام بها المستشرقون عن الشرق للاستفادة وبعث الروح في أبنائهم.

3-التمجيد مجرد تخدير للقارئ العربي للافتخار بحضارة قام بها السلف حتى يلهيه عن حاضره.

وفي الأخير أوجه كلمة شكر إلى أستاذي ومعلمي الفاضل عبد الحفيظ بورديم، وإلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل من الطلبة والأساتذة الفضلاء.

ونسأل الله التوفيق والسداد والسير على درب الأنبياء والصديقين والشهداء.

والحمد لله رب العالمين.

عبد الناصر بلجيلا لي.

العريشة:2011/06/26.

المدخل

-المدخل:

تحمل نفس القارئ العربي تخزين مشكوكا من كلمة الاستشراق, لغلبة الظن بأن فلسفتي الثبت على تشويه الحضارة العربية , ويصدق ذلك الظن خلو أغلب المؤلفات من الدراسة الموضوعية.

إن شئنا التصنيف ,تبين أن المدرسة الفرنسية أنتجت تراثا استشراقيا يحمل برواسب الصراع ,و مكللا بمقاصد التشويه ,بينما نجد المدرسة الألمانية قدمت قراءات علمية في أغلبها.

ومن المؤلفات التي مجدت الحضارة العربية الإسلامية كتاب المستشرقة الألمانية –زيغريد هونكة- في مؤلفها (شمس الله تسطع على الغرب). وهو قراءة متميزة تبرز ما جادت به العقول العربية من علوم وفنون.

كل قارئ لهذا المؤلف سوف يعترف بجهود العلماء المسلمين على غيرهم من الأمم الأخرى، ولقد عالجت المؤلفة مجموعة من المواضيع التي استفاد منها الآخر في شتى العلوم والمعارف ونذكر من بينها علم الرياضيات وعلم الحساب خاصة فالأعداد الهندية التي أهداها العرب للغرب عن طريق تاجر اسمه"ليوناردو" وقد ساهم بقسط كبير في هذا العلم وهذا ما يثبت في قول المؤلفة:" وإذا تركنا الشرق إلى الغرب و العرب إلى اللاتين وجدنا جهلا تاما بالأعداد الهندية وطرق الحساب العربية حتى أتاح الله لأوروبا" ليوناردو" فوضع وهو لم يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره كتابا باللغة اللاتينية حول الطريقة الحسابية التي تعرف باسم " أباكي" وقد كان هذا الكتاب سببا في شهرة مؤلفه...".[1]

إن تفوق العرب في العصور الوسطى على الغرب في جميع المجالات (العلمية، الثقافية، الدينية...). جعل الغرب ينظر نظرة استطلاعية على هذا

1-زيغريد هونكة، شمس الله تسطع على الغرب، ترجمت فؤاد حسين علي، مكتبة رحاب، دط، 1986م، ص:63.

الموروث العربي الثمين وما تمخض عنه من علم جديد يدعى الاستشراق الذي هوالعلم المتخصص في دراسة الشرق ثقافته، ولغاته، وآدابهوتاريخهوحضارته.

ولذا يعتبر الحكم على الاستشراق مسألة صعبة في تبيين نظرتها للشرق فهل هي معرفة نقاط الضعف و القوة؟ هذه المسائل تختلف على حسب اختلاف المستشرق الدارس للشرق وفي هذا تدخل عوامل عدة تختلف من مدرسة إلى مدرسة أخرى فالمدرسة الألمانية مثلا ليس لها نفس النظرة التي تتحلى بها المدرسة الفرنسية.

"ولقد توجه المستشرقون في دراسة التاريخ الإسلامي ابتداء من خلفياتهم الفكرية فعمدوا إلى وضع الفرضيات والتعميمات أطلقوا عليها النظريات ووصفوها بالعلمية ونصبوا من أنفسهم قضاة يحاكمون أحداث التاريخ الإسلامي ورجالاته."[1]

المستشرق يسعى إلى اختراق الأفق الفكري الذي تفرضه البيئة حوله، بإلقاء نظرة على عالم الشرق. وهو في الوقت نفسه يطبق على الإسلام وتاريخه وعلى المؤلفات العربية التي يشتغل بها، المعيار النقدي نفسه الذي يطبقه على تاريخ الفكر في بلاده، وعلى مصادره وهو يدخل على اللغة العربية بعد أن يكون- في العادة- قد تمكن من لغته، ونحوها، وصرفها بقدر أو بآخر.

المستشرق مرتبط ارتباطا وثيقا بما يدور حوله من حركات علمية، ونبض حضاري ينتمي إليه، ولعل في هذا ما يفسر الدهشة والاستغراب اللذين يرتسمان على وجه المسلم وهو يقرأ كتابات المستشرقين. فهم يقيسون الأمور بموازين مختلفة إلى حد كبير عن مقاييسنا، اختلاف المقاييس هو الذي أوقع كثير من المستشرقين في الخطأ وهم يزنون بها ثقافة أخرى مختلفة كما أوقعنا ذلك

1-جميل عبد الله محمد المصري، دواعي الفتوحات الإسلامية ودعاوي المستشرقين دار القلم ،الدار الشامية، ط1، 1991م، ص:7.

في خطأ مقابل،" حين أقدمنا على تقويم أعمالهم دون معرفة كافية بطبيعة مناهجهم ومستلزماتها والاستنتاجات المترتبة عليها".[1]

والمتتبع للأحداث التاريخية سوف يستخلص أن هناك علاقة بين الاستعمار والاستشراق، فالمستعمر الغربي للبلاد العربية لم يكن مجرد من دراسة معمقة لهذا الفعل بل كان له تطلعات مستقبلية حتى يفرض نفسه على الإنسان المستعمر.

"لم يكن كل ما حدث على الأرض العربية منذ سقوط الدولة البيزنطية بعيدا عن متابعة القوى الجاثمة في أوروبا وأعينها المفتوحة باتجاه الوطن العربي ترقب، أحيانا وأيديها المغامرة تشارك في الخفاء في الكثير مما يجري هناك.ولقد تعلم الأوربيون من مخططات الشعوبية فنونهم في العمل المضاد للعرب والإسلام وكانوا يدركون مدى الخدمة التي قدمتها الشعوبية للهدف المشترك عندما ساعدت إبان الحكم العباسيين و البرامكة على شق الطرق والأخاديد الخفية لتنشط المؤثرات الفلسفة اليونانية".[2]

لقد تتبع الغرب كل ما كان يحدث في تاريخ العرب فاستفادوا من هذا التاريخ حينما كان العرب يفرضون بسطهم على العالم إبان الفتح الإسلامي الذي يعد أعظم إنجاز في تاريخ الإنسانية .

و كانت الحروب الصليبية بعد ذلك درسا قاسيا لأوروبا، وضربة موجعة على أيديهم المتسرعة الجشعة في الطريق إلى نهب الوطن العربي... وكانت أيضا مصدر تحول في التفكير باتجاه تصحيح الكثير من معلوماتهم العلمية. "والحضارية القاصرة فلقد نقلوا معهم بعد الهزيمة إحساسا قويا بالمرارة من تخلفهم، وشعورا بالاحترام الجبري للمسلمين وإن كانوا أعدائهم، وبالحاجة

1ـــإسماعيل عمايرة، المستشرقون والمناهج اللغوية، دط، دس، دار وائل للنشر،ص:17-18.

2-أحمد موسى سالم، لماذا ظهر الإسلام في جزيرة العرب، دط، دس، دار الجيل، بيروت، ص:36-37

الشديدة إلى التعلم منهم، وتغيير منهجهم في التفكير، وإنشاء المدن وكذلك تغيير نظرته إلى الإنسان وقيمته وحقوقه من خلال معنى جديد لكلمة "الناس" المغايرة تماما لمفهوم الألقاب الطبقية التي تتقلص تحتها جماعة الرعايا البائسين وهي تتحطم تحت وطأة القهر والتجهيل والجوع والاستغلال".[1]

إن الاستشراق في نظري ظاهرة ثقافية نتجت أساسا عن توسع آفاق المعرفة الأوروبية ومحاولة العقل الغربي فهم الآخر والتعامل معه أملا في احتوائه

وتوجيهه ثم الهيمنة عليه، وتعود منطلقات الاستشراق إلى اتصال الغرب بالمعرفة الإسلامية ومحاولة مثقفيه الاستفادة من هذه المعرفة عن طريق ترجمة

الجانب العلمي التجريبي و النظري و الفلسفي منها، منذ القرن الخامس للهجرة،الحادي عشر للميلاد،و قد توجت عملية الاقتباس هذه باكتساب الأوربيين الصناعة الحضارية التي كانت الحركة الرشدية اللاتينية (القرن السابع للهجرة ،الثالث عشر للميلاد) إحدى دلالاتها ،فانفتح بذلك المجال أمام الذهنية الأوربية لتحقق نهضة مبدعة في شتى شؤون الحياة مع نهاية العصر الوسيط (القرن الثامن للهجرة ، الرابع عشر للميلاد).

كانت نتيجة هذا التيقظ تزايد اهتمام الأوربيين بالعالم الإسلامي، هذا الاهتمام الذي تحول مع القرن الثالث عشر للميلاد إلى مشروع استكشافي للبلاد العربية الإسلامية، وسائله علمية، وطابعه رومانسي، ومراميه الاستعمارية، وتعبيراته الثقافية.

إن تطور البحث العلمي للجيل الثاني من المستشرقين وتراكم التجربة الاستشراقية وازدياد معرفة أوروبا بالعالم الإسلامي كل ذلك غير نوعا ما طبيعة الاستشراق بل أدى إلى تحول جذري في الحركة الاستشراقية، فأصبح بمثابة المؤسسة الثقافية ذات الإطار العام والمواضيع الخاصة، وإن كانت من

1ـــالمرجع نفسه،ص:37.

حيث ثقافة المستشرقين وجنسياتهم تصنف إلى عدة عائلات متميزة أهمها الفرنسية والإنجليزية والجرمانية والصلافية والأمريكية والإسبانية والإيطالية".[1]

و كل واحدة منها تضم مجموعة من الباحثين في تاريخ الإسلامي وقضاياه الحضارية يغلب على جزء كبير منها الاعتدال في النظرة والنزاهة. في الحكم وإلا يخلوا بعضها في ضيق في الرؤية وذاتية في التقييم والكل له تأثير على الواقع الثقافي بالبلاد الإسلامية وله امتداد في الحياة العلمية عن طريق مجموعتين من الباحثين أولهما جماعة ما يطلق عليهم مصطلح المستعربين الذين ينتسبون إلى العالم الإسلامي بأصولهم ويرتبطون بالغرب بأفكارهم أمثال **ألبارت حوراني، محمد خدوري،محمد أركون,رئيف خوري، أنور عبد المالك، وإدوارد سعيد**، وغيرهم ممن كانت لهم مساهمة في التعريف بالعالم الإسلامي وثانيهما مجموعة من الخريجين العرب والمسلمين من الجامعات الغربية الذين هم أكثر تأهيلا من غيرهم لفهم المساهمة الاستشراقية والتفاعل معها إيجابيا بحكم تكوينهم وارتباطهم بالوسط الثقافي لبلدانهم ونظرا لدورهم المؤثر في المؤسسات العلمية بالبلاد العربية والإسلامية واحتكاكهم بجيل جديد الذي كونته،هذه المؤسسات".[2]

"وقد أصبح الاستشراق لدى الإنسان المسلم مركب عقد إما تفوق أو نقص. فكلما ذكر المستشرقون المساوئ أو قدموا انتقادات للحضارة العربية إلا وأحس أصحابها بنوع من الضغط والوهم... تبهرنا هذه القمم الشامخة ونتيه في عالم الخيال حين تذكرها أقلام المستشرقين،و إن أنكرتها يعترينا مركب النقص وفي كلتا الحالتين تصب هذه الدراسات في روحنا حرمانا مزدوجا".[3]

يجب علينا أن نحل تلك العقدة التي أصبحت تتوارثها الأجيال. إن قدم المستشرقون أعمالا يمجدون فيها الحضارة العربية الإسلامية فنحس بالفخر.

1-ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات آفاق، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2000م، ص:464.

2-المرجع نفسه، ص:465.

3-مالك بن نبي، القضايا الكبرى، دار الفكر،بيروت، دط، 2002م، ص:193.

ليحدث ثورة صناعية عظمى بينما بقي الشرق يتأثر بآراء المستشرقين حول تاريخه وبالتالي ربما وجب علينا أن نستخلص من هذا العرض نتيجة تحدد موقفنا من إنتاج، فنقول أولا إنه إنتاج لا يجوز نكران قيمته العلمية، بل نراه أحيانا يستحق كل التقدير لما يتسم به".[1]

والتمجيد الذي يمارسه عدد قليل من المستشرقين يجب العمل والإقتداء بهذه الأعمال التي خلفها لنا السلف الذي كان يتميز بالفاعلية لا بالاتكال على الغير.

هذا ما يعبر عنه **مالك بن نبي** بعالم الأفكار وعالم الأشياء.

والواقع المعاش اليوم أصبح يتميز بالفاعلية و القوة والسرعة في مواكبة العصر فأي تأخر سوف يترتب عنه انعكاسات جد سلبية ويجر بالأمة الخروج عن نطاق الأمم المتقدمة، لذا وجب على الفكر العربي المعاصر تبني معطيات وفرضيات تخرجه من الجهل الدامس الذي يتخبط فيه، ولا سبيل إلى تحقيق التقدم الذي حققه أسلافنا سوى السير على خطاهم ومناهجهم التي أصبح الغرب يطبقونها، وهذه المناهج ما هي سوى مستوحاة من مبادئ الإسلام السمحاء والمرشدة للفكر في مسايرة الزمن .

"إن روح الإسلام هو الذي خلق من عناصر متفرقة كالأنصار والمهاجرين أول مجتمع إسلامي، حتى كان الرجل في المجتمع الجديد يعرض على أخيه أن ينكحه من يختار من أزواجه بعد ان يطلقها له كي يبني بذلك أسرة، فقوة التماسك الضرورية للمجتمع الإسلامي موجودة في كل وضوح في الإسلام، ولكن أي إسلام؟ الإسلام المتحرك في عقولنا وسلوكنا و المنبعث في سورة الإسلام الاجتماعي".[2]

من خلال هذا التصور الذي قدمه مالك بن نبي رحمه الله يوضح لنا أن التجسيد الفعلي للإسلام يتحقق من عناصر متنافرة وحدة متماسكة. فنحن

1-المرجع نفسه،ص:193.

2- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر، بيروت، ط4، 1984م، ص:81.

لا نذكر الأعمال الاستشراقية التي مجدت لحضارة الإسلام عندما بلغت أوج عظمتها في العصور الوسطى بينما كانت أوروبا تعاني من ويلات الجهل وضم الكنيسة.

إن ظاهرة تمجيد التي قام بها قلة من المستشرقين من امثال المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه والمستشرقين الروسيين: **باتلور** و**كراتشكوفسكي**، يجب أن لا تنعكس إيجابا بالعاطفة والإحساس بالفخر لما صنعه السلف من إبداع في شتى العلوم(النقلية والعقلية) بل يجب أخذ العبر من هذه الدراسات الإستشراقية لماضينا المجيد وحاضرنا التعس.

المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه راحت تتجول بأفكارها عن الشرق،وترسم كل ما جاد به الفكر العربي من شتى العلوم وتعترف بهذا في قولها:" إن أوروبا تدين للعرب وللحضارة العربية وأن الدين الذي في عنق أوروبا وسائر القارات الأخرى للعرب كبير جدا وكان يجب على أوروبا أن تعترف بهذا الصنيع منذ زمن بعيد لكن التعصب الديني واختلاف العقائد أعمى عيوننا وترك عليها غشاوة حتى أننا نقرأ ثمانية وتسعين كتابا من المائة فلا نجد فيها إشارة بفضل العرب وما أشادوه إلينا من علم ومعرفة".[1]

فلقد كان للعرب بفضل الجهود التي قام بها الخلفاء المسلمين خاصة في العصر العباسي من خلال عمليات الترجمة التي نفق فيها الكثير من الأموال مما ساعد على ازدهار الحضارة العربية إخراج التراث اليوناني وحمايته من التلف.

1-زيغريد هونكة، شمس الله تسطع على الغرب، ص:أ .

الفصل الأول

التمجيد الاستشراقي للثقافة

تمجيد الاستشراق للثقافة:

تتحدث المؤلفة الألمانية زيغريد هونكه عن معجزة عربية قام بها أبناء الصحراء أحدثوا من خلالها حضارة ذائعة الصيت و تعبر عن ذلك بقولها:

"إن الطفرة العلمية الجبارة التي نهض بها أبناء الصحراء ومن العدم من أعجب النهضات العلمية الحقيقية في تاريخ العقل البشري، فسيادة أبناء الصحراء التي فرضوها على الشعوب ذات الثقافات القديمة وحيدة من نوعها وأن الإنسان لا يقف حائرا أمام هذه المعجزة العقلية الجبارة هذه المعجزة العربية التي لا نظير لها والتي يحار الإنسان في تعليلها و تكييفها ".[1]

تعتبر الثقافة أحد العوامل التي تساعد على نهضة الشعوب "وهي كلمة مستعملة في اللسان العربي منذ العصر الأموي والعباسي" [2] وهذه الكلمة "الثقافة" تتضارب حولها الآراء وفي هذا البحث نأخذ مسار هذه الكلمة من حيث أنها معلومات ومعارف يكتسبها الإنسان.

الثقافة العربية في العصور الوسطى تميزت بالعطاء والسخاء مما أدى بالمستشرقين إلى التركيز على هذا الجانب العلمي فنجد المستشرق الألماني **فايشير** يقول:" ... الإشارة إلى العمل والاهتمام بميدان الثقافة العربية والفارسية الذي دأب عليه الباحثون المستشرقون..."[3].

هذا الرأي الذي قدمه المستشرق الألماني **فايشير** يوضح لنا مدى اهتمام المستشرقين بالثقافة العربية.

والثقافة التي لها ارتباط بالعقل توحي بمدى العلاقة بينهما, مما يجدر القول بفاعلية العقل العربي في الحضارة العربية الإسلامية فحيويته ولدت لنا أشياء متسارعة وهذا ما استخلصه المفكر الجزائري مالك بن نبي:" فالمجتمع العربي

1-زيغريد هونكه، شمس الله تسطع على الغرب، ص:257-258.
2-مالك بن نبي، مشكلة الثقافة،ص:20.
3-برند منوئيل فايشير، الشرق في مرآة الغرب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دار سراس، تونس، دط، 1983م، ص:28.

قبل العهد القرآني يختلف اختلافا كبيرا عنه بعد العهد القرآني، فإذا بحثنا عن إنتاجه قبل ذلك مثلا في الفترة التي تقدر بأربعة آلاف سنة من عهد إسماعيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، نجده ينحصر في عشر معلقات، وهذا معناه أن الطاقات الاجتماعية ،طاقات العقل والقلب واليد في حالة غير حالة التوتر الاجتماعي الذي يدفع إلى الإنتاج بقوة وحرارة وحينما جاء الإسلام أستطاع أن يخلق حضارة خلال نصف القرن ومعنى ذلك أن الإسلام أتى بالمسوغات الدافعة لليد والعقل والقلب لكي تحقق المساندة حضارة ذات إشعاع".[1]

إن العقل في بناء الحضارة قد يلخص فترات زمانية طويلة في مدة وجيزة تساهم في الإسراع لتقديم الأفكار البناءة والمختزلة لبعض الأمور الجانبية.

والعقل العربي في العصور الوسطى لم يكن مجرد أفكار جامدة في خلايا الدماغ، وإنما كان تجسيدا لهذه الأفكار بالجهد العضلي والفكري الذي مازالت معالمه تشهد له على ذلك من عمارة ومخطوطات و آثار مادية ومعنوية مختلفة.

اعتراف المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة بسخاء العقل العربي في العصور الوسطى كان بمثابة الصاعقة على أغلبية المستشرقين الذين ينكرون ما أنتجه العرب من علم ساعد في تواصل المسيرة المعرفية في العالم.

إذا قلنا أن المستشرقين يريدون التشويش على العقل العربي، فهذا يعني أنهم يسعون إلى إبطال حركة العقل المسلم الذي يحركه الدين الإسلامي ويحقق جوانب وقيم تساعده على مسايرة الزمن.

" الإسلام،فإنه يمنح قيمة تفوق كل قيمة سياسية أو اجتماعية لأنها القيمة التي يمنحها الله في القرآن "[2].

1-مالك بن نبي، تأملات ،دار الفكر، ط5، 1991م، ص:40.
2-مالك بن نبي، القضايا الكبرى، ص:146.

إن الحركة العلمية التي شهدنا العالم العربي خاصة في الأندلس، قد دفع بأوروبا بإرسال البعثات للدراسة في الأندلس هذا ما قد عزز لأوروبا الإطلاع على ما جاد به الفكر العربي.

ونذكر من العلماء الذين سطعت بهم الأندلس , **ابن رشد** الذي قال فيه الباحث الفرنسي **هنري تيراس** بوصفه "أحد الأدمغة الكبرى في العالم الإسلامي".[1]

لقد صنف **أبو حامد الغزالي** عدة مؤلفات أضاءت بها عقول العرب والمسلمين ,وحتى العجم ومن بين هذه المؤلفات نذكر كتاب إحياء علوم الدين الذي كان له تأثير على عقلية المجتمع الإسلامي.

ومن الأمور التي ساعدت المسلمين على تطوير رصيدهم الفكري،**حركة الترجمة** التي كان الأمراء ينفقون المال الكثير من أجل ترجمة التراث اليوناني.

هذه العملية قد ساهمت في الحفاظ على التراث اليوناني الذي كاد أن يضيع ويتلف، وهذا الأمر الذي شادت به المستشرقة الألمانية بقولها:" أن المخطوطات وغيرها التي أنقضها العرب لم تخزن في المتاحف والخزانات وحيلة بينها وبين الهواء، بل بعثت بعثا جديدا فانتقلت من حال النسيان والإهمال إلى حياة ثانية فتية قوية، لقد عادت للحياة لتكون في متناول يد كل فرد وبالاختصار ترجمت".[2]

وهذا القول يدل على المجهودات التي قام بها علماء العرب بنقل التراث اليوناني وإخراجه إلى النور، لا تركه في رفوف المكتبات والخزائن مادة ميتة بل أحيوها بجهودهم الفكرية والعلمية.

1-إبراهيم القادري بوتشيش،إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الإقتصادي والاجتماعي ،دار طليعة، بيروت،ط1،2002م،ص:131.

2-زيغريد هونكه،شمس الله تسطع على الغرب،ص:283.

عملية الترجمة كان ينفق عليها أموال ضخمة في العصر العباسي ففي هذا العصر أخرجت عدة كتب إلى النور هذا يدل على الأعمال التي قام بها العرب من إحياء التراث اليوناني.

فالمستشرقة الألمانية **زيغريد هونكة** تثني على مجهودات **حنين بن إسحاق** في العمل الترجمي في عصر **هارون الرشيد** وهي تقول:" ومن الأمثلة الأخرى الشهيرة للنشاط العظيم الذي بذل لإحياء التراث القديم هو ذلك الذي أداه بن الصيدلي **حنين بن إسحاق** وهو أحد أبناء القبيلة العربية التي كانت قد اعتنقت المسيحية واشتهرت باسم ألعبادي وكانت تقتم حول الحيرة العاصمة التجارية القديمة على الفرات، وكان في عصرها المقر الملكي للخميين العرب،وكانت تمر بها القوافل التجارية العربية وإجتازت ما بين النهرين".[1]

وتبدي المستشرقة إعجابها بالترجمة التي قام في إبداعها حنين بن إسحاق "هذا الشاب العربي أكتسب شهرة أوسع عن طريق مهارته في الترجمة فقد أمتاز فيها على **ماسويه** كما أعجب به أبناء موسى حيث إمتازت ترجمة حنين بحسن الأسلوب ودقة الترجمة فترجمته لم تكن حرفية أي كان يكتفي بإحلال كلمة أو جملة مكان أخرى إنما قصد في الترجمة في المعنى ومن ثم صبه في قالب عربي سليم".[2]

والمستشرقة الألمانية من خلال كتابها تعتبر بمثابة صفعة قوية تضرب بها وجوه المستشرقين المتطرفين الذين يعتبرون أن الحضارة العربية هي مجرد ترجمة للتراث اليوناني .

"الوصول إلى حقيقة هامة، وهو أن التراث العربي الإسلامي لم يقم أساسه على الحضارة الإغريقية، أو أنه ناقلا فقط لبعض هذه الحضارة أو عنها كما يدعي طائفة من المستشرقين ومن تتلمذ على أيديهم من العرب أمثال الطنطاوي، الجوهري، وأحمد رضا، وفريد وجدي وغيرهم ممن كانت تغلب

1-م.ن،ص:284.

2-م.ن،ص:287.

على مؤلفاتهم شكل دائرة المعارف، ويعتمدون في مؤلفاتهم على الفكر الذي يتصف بالمدح و التمجيد،فهذا الفكر يخذر ضمير الشعوب العربية الإسلامية أمام تحديات استشارات وذلك بإعلانهم أن ما ساهم به العرب في تنمية العلوم إبان حضارتهم لا يعدوا مجرد تبليغ ما أنتجه اليونان والرومان".[1]

أن قيمة الترجمة التي قام بها العرب في العصور الوسطى للتراث اليوناني لم يكن مجرد نقل فقط ، بل كانت انعكاساته حتى على الحضارة الغربية في وقتنا الحاضر، فهذه الترجمة حفظت هذا التراث من التلف وزادت في تقدم العلم

والترجمة التي قام بها العرب في عصورهم الزاهية بالعلم لم تكن مجرد نقل معلومات من لغة إلى لغة بل قاموا بتمحيصها وتصحيحها وإضافة إليها أفكارهم التي ساهمت في بناء الحضارة العربية

"ومن العلوم التي أخذت دورها أيضا العلوم العملية الإنسانية البحثة، وظهر في العلماء علماء ترجموا وألفوا، اقتبسوا ثم صححوا وأضافوا إليها من أبناء الدولة الإسلامية سواء كانوا مسلمين أو أهل كتاب مثل **جرجيس بن جبريل بن بختشيوع النسطوري**، وحفيده من بعده، **وأبي يحي البطريق إبنه يحيى، ويعقوب بن طارق، ومحمد بن ابراهيم الفزاري** وكان أبوه فلكيا كتب ونظم في الفلك، ومعظم هؤلاء كتبوا في الطب وترجمات أطباء اليونان والأخرين كان من علماء الفلك الذين نقلوهم عن الهند لمعرفتهم باللغة السنسكريتية، ولعل على الطبري أجمع هؤلاء العلماء المسلمين وكان أبوه فلكي فارسي وهو الربان سهل الطبري".[2]

وهذا القول يوضح أن هناك عدة علوم قام علماء العرب والمسلمين بترجمتها واقتبسوا منها وصححوها ومن بين هذه العلوم نذكر الرياضيات والطب،الفلك وغيرها من العلوم العقلية.

1-حسين محمد سليمان،التراث العربي الإسلامي،ديوان المطبوعات الجامعية،ص:64.
2-م,ن،ص:265.

ويعود الفضل في الترجمة وتشجيع البحث العلمي إلى الخلفاء المسلمين من أمثال **أبوجعفر المنصور والمأمون وهارون الرشيد** الذين قدموا الكثير من أجل ذلك، وقد حققوا أهدافا بفضل هذه العناية التي أولوها للحركة العلمية خاصة في العهد العباسي.

والحقيقة أن للخلفاء المسلمين الفضل الكبير في الإنتاج الغزير للتراث الإسلامي في شتى المجالات العلمية والعملية، فقد قاموا بتشجيعهم والإنفاق على العلوم، وإنشاء دور الحكمة وغيرها، ومن أمثلة على ذلك أن المهدي العباسي أول من سن المكافئة للعلماء على مؤلفاتهم وأكثر منها مما جعل العلماء يشدون إليه الرحال مؤلفين ومترجمين من كل بلد، وكان المنصور قد سبقه بالاهتمام بالترجمة في كتب الفلك والطب والهندسة".[1]

وهذا يدل على مدى اهتمام الخلفاء المسلمين بالعلم وبذل كثير من أجله.

ولقد نقل العرب من العلوم الطبيعية في أيام الخليفة المنصور الطب من الحضارة اليونانية وهذا بسبب مرض في معدته وكان الأطباء القائمون في خدمته يعالجونه ولا يجدي علاجهم نفعا فجمعهم يوما وقال لهم: "هل تعرفون من الأطباء في سائر المدن طبيبا ماهرا فقالوا ليس في وقتنا هذا أحد يشبه **جورجيس** رئيس أطباء جند نيسبور، وهو **جورجيس** بن **بختشيوع** السرياني، فقد كان ماهرا في الطب وله فيه مصنفات باللغة السريانية، وكان من الذكاء و الفضل على جانب عظيم، حتى أصبح رئيس أطباء مستشفى جند نيسابور، أشهر مدارس الطب في تلك الأيام، فبعث المنصور في طلبه على عجل فلما جاء الرسول إلى **جورجيس** أراد استمهاله فهدده بالقتل إذا أبطأ، فعهد بأمر المستشفى إلى إبنه **بختشيوع** وأصطحب اثنان من تلاميذه، وركب إلى بغداد، فلما وصل استقدمه المنصور إليه ودعى له بالفارسية والعربية، فأجلسه أمامه وسأله بعض الأسئلة فأجابه عليها بسكون، فازداد به إعجابا، وأخبره بعلته من ابتدائها، ورجع في الغد ونظر في قارورة البول وعالجه علاجا لطيفا فشفي ورجع إلى مزاجه، فأزداد فرحه به ومنعه من الرجوع إلى بلده.

1-م.ن،ص:266.

وكان **جورجيس** محبا للتأليف، وكان يعرف اليونانية فضلا عن السريانية والفارسية والعربية، فلما رأى وثوق المنصور به نقل له كتبا طبية من اليونانية".[1]

وقد خصت المستشرقة الألمانية **زيغريد هونكة** في فصل من كتابها (الترجمة مجهود ثقافي)، للأعمال التي قام بها **حنين بن إسحاق**، فهي تثني على المجهود الذي قام به من خلال عملية الترجمة التي قام بها وبراعته في ميدان الترجمة مما ساعده إلى الوصول للهيئات العلمية والثقافية وهذا ما أدلت به في قولها عن **حنين**:(فترجمته هي التي تفرض الكتاب على المجتمع وتمهد له الطريق إلى الأوساط العلمية والثقافية، فحسب **حنين** هو الذي جعله يتوجه ملكا على عرش الطب العربي، وبذلك أصبح فيما بعد زعيم الطب الأوروبي".[2]

و لقد حفظ الجهد العربي التراث اليوناني ,بالترجمة و التلخيص و الشروح, كان ربطا تواصليا بين مرحلتين في تاريخ الحضارة الأوربية.

وقد كان اعتراف المستشرقين بهذا الجهد في ميدان الترجمة على أنه مجرد نقل للتراث اليوناني،أما المستشرقة الألمانية فهي تثبت عكس ذلك و هي تكن للمجهودات التي قام بها العرب في الاستفادة من هذا التراث بقولها:"و هكذا نجد العلماء العرب يحفظون للعالم عن طريق ترجماتهم الكثير من الكتب من الضياع والضياع النهائي، وهي مؤلفات كان العالم يجهلها جهلا تاما لولا أن جادته عن طريق الترجمة العربية مثل كتب التشريح في **لجالنيوس** وكتب القوى المحركة والرياضيات للمؤلفين **هيرون وفيلون** و**منيلاوس** ثم بصريات **بطلموس**..."[3]

ولقد حفظ التراث العربي ما استنبط من التراث الإغريقي اليوناني، وكان هذا الأخير مترجما إلى اللغة العربية،مما جعل الإنسان الغربي يقوم بتحقيق هذا

1-عزالدين فراج، فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر العربي،دط، دس، ص:13.

2-زيغريد هونكة، شمس الله تسطع على الغرب،ص:288.

3-المرجع السابق، ص:289.

التراث الذي كان مليئا بما فقد من تراثهم، وقاموا بترجمة الكثير منه إلى لغاتهم اللاتينية وقاموا بالبناء على أساس تراثنا العربي،

و لم يكن ما وصلت إليه الحضارة العربية بإغفال العلم ,بل ثمرة من ثماره و قطف من قطافه ,حين جعلت **الكتاب** مشروعها الكبير حتى صارت له في النفس العربية مكانة التقديس المثلى و قد قال المتنبي:

أعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَا سَرجُ سَابِحُ وخَيرُ جَلِيس فِي الأنَامِ كِتَابُ.

ولعل ما يدعم هذا العلم هو أول سورة نزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: (ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝) [1]

لقد أولى الإنسان المسلم العناية بالقراءة ووسيلته المتمثلة في الكتاب الذي كان يبذل من أجله الكثير.

"الثراء لا يتم لشخص دون ملكيته لمكتبة غنية بالكتب النادرة القيمة".[2]

وهذا يدل على مدى أهمية المكتبات الخاصة التي كان يتنافس عليها العرب في عصورهم الزاهية بالعلم لا بالمال. فلقد كان الإنسان يعرف الكثير من أجل إنشاء مكتبة خاصة يجمع فيها أمهات الكتب لبعث حركة علمية نشيطة.

" و تعلم العرب من الصينيين تقنية صناعة الورق لم يعرفها الغرب,وعن طريق العرب إلا بعد أربعة قرون.و تضاعفت المكتبات في جميع أنحاء العالم العربي:ففي عام 815أسس المأمون في بغداد (دار الحكمة)تحتوي على مليون نسخة".[3]

وعرف أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، الخليفة الأول للخلافة الأموية كانت له خزانة خاصة، يقيم عليها الغلمان لخدمتها وحفظها، وكان يحفظ فيها

---

[1]- العلق/1-2.

[2]- المرجع السابق، ص:293.

[3]- روجيه غارودي,الإسلام في الغرب,ترجمة ذوقان قرقوط,داردمشق,ط1,1995,ص:218.

كتاب **الملوك وأخبار الماضين** وكذا كتب أخرى، وهي تشتمل على أخبار العرب وأيامها، وأخبار العجم وملوكها، ويجب أن يستمع إلى شيء منها كل ليلة حيث يأتيه الغلمان بالكتب، ويقرؤون مما فيها عن سير الملوك ودولهم ويؤكد أمر الخزانات في هذا العصر ما رواه بن السندي الذي زار خزانة القاهرة سنة أربعمائة وخمسة وأربعون للهجرة، فقد رأى كرة من نحاس من عمل بطلموس كتب عليها حملت هذه الكرة من خزانة الأمير خالد بن يزيد بن معاوية وتوسع في الأمر من بعده يزيد بن سفيان".[1]

فالخلفاء كانوا يهتمون بمكتباتهم الخاصة ويكلفون الغلمان بخدمتها وحفظها، وكانت كل مكتبة خاصة تجمع مؤلفات على حسب ميول صاحبها.

"وعرف العرب صناعة الورق عندما اختلطوا بالصينيين بعد فتح سمرقند وتأسست أول صناعة للورق في بغداد سنة أربعمائة وأربعة وتسعين للهجرة على يد الفضل في عصر **هارون الرشيد**، ثم أدخل العرب هذه الصناعة فيما بعد إلى إسبانيا و صقيلية، ثم انتقلت إلى إيطاليا وفرنسا، وكان إدخال هذا الاختراع سببا في انتشار الكتب في كل مكان".[2]

ولقد ساهم العرب باحتكاكهم لغيرهم من الشعوب بالدفع للحركة العلمية وصناعة الورق التي كانت تكلف الكثير من اجل استخراج الكتاب .

وبتطور انتشار الكتب لتطور صناعة الوراقين إلى بائعين للكتب(الكتبيون) وأستغل هؤلاء بجميع ضروب العلم المعاصر لهم من نحو وصرف وأدب وقضاء وفقه وكان الوراقون المحدثون هم الفئة الغالبة لإقبال الناس عليهم وذكرهم كثيرين من سجلوا في كتب الطبقات والتراجم عند البغدادي والسمعاني وغيرهم.

ومن الوراقين العلماء والنحاة والأدباء ما شكر ذكره دائما أبو حيان التوحيدي, والوراق يسمى على بن عيسى بن على الرماني أبو الحسن، وكان

1-حسين محمد سليمان،التراث العربي الإسلامي، ص:170.

2-عز الدين فراج، فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية،ص:257.

في العربية علامة في الأدب والنحو، ومن أكثر العلماء استخراج للعويص من الكلمات إيضاحا بالشكل ومن النحاة محمد بن عبد الله أبو الحسن الوراق الذي صنف في النحو كتابا حسنا .

"ومن الأندلسيين محمد بن حمدون الغافقي القرطبي الوراق وعلي بن عبد الله بن موسى بن طاهر الغفاري السرقسطي النحوي وكان حسن الوراقة بارع الخط".[1]

وإذا كانت النصوص القديمة فيما قبل الإسلام، والسنوات الأولى منه لم تكتب إلا على الرقاع والعسب واللحاف وغيرها، فإن هذه المواد غير واقعية في المؤلفات الأكبر التي تحقق ما كتب في هذه الوسائل، بل إن الجلود أيضا (المسماة بالرقاق)التي سجل عليها بعض الكتابات والأبحاث الإسلامية.

وبعد أن فتح الله على المسلمين بتحرير البلاد في الشام ومصر والعراق وفارس وخراسان وغيرها، كان أمام المسلمين وسيلة هامة متبعة في الشام ومصر بصفة خاصة وهي ورق البردي والمسمى القرطاس.

واستعمال البردي مادة كتابية قديمة يعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد بمصر، ومنها أنتشر في حوض البحر المتوسط ، وأخذه اليونانيون عنها ،وأطلقوا عليه اسم **بابيروس** نسبة إلى مدينة **جبيل** السورية الواقعة شمال طرابلس الشام،ذلك أن التجارة البردي كانت وقفا على مدينة **جبيل** السورية هذه.

ولما كان لفظ **بيبروس** يعني عند اليونان الكتاب، لذا أنسحب الاسم ليشمل المادة المستعملة للكتابة، انتشر البردي في جميع أنحاء العالم وبلغ أوجه في الألف الأول قبل الميلاد ورغم منافسة الجلود له فيما بعد خاصة في العصور المسيحية وفي ظل البابوية، إلا أن استخدامه ظل قويا إلى أن عادت البابوية لكتابة مواثيقها به.

1-حسين محمد سليمان، التراث العربي الإسلامي، ص:188-189.

أصبح البردي هذا تحت تصرف المسلمين بعد تحريرهم مصر، التي صدرته لسائر العالم الإسلامي فيما بعد، وصار مادة تجارية فيه، وجاء ذلك في كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن بيطار، فقد كان يتداول بين الناس عن طريق التجارة، وكان الدرج يتألف من عشرين ورقة ملصق بعضها ببعض وتسمى الورقة الأولى بروطوكول ومعناها اللصق الأول وكانت ميزاته انه جاهز تحت الطلب ويمكن استعماله في الشكل المناسب،وتكتشف به أي محاولة للتزوير في النص، وقد سبق الإشارة في استخدامه في عصر الراشدين وما استخدمه الأمويون اعتبارا من عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فكان يكتب الخلفاء عليه في قرطاس ثلثي الطومار(والطومار هو الورقة الكاملة)،[1] بل أن دواوين الشعر كانت مسجلة في قراطيس كما عثر على قطعة من كتاب المغازي لوهب بن منبه.

وانتشار صناعة الورق ونشرها كان لها أكبر الأثر في تقدم التحقيقات وإحياء الكتب ونشرها، وقد هذبت شكل الكتاب وطورته حتى أخرجته في شكل هندسي مستطيل، يمكن حمله والانتقال به ومصافحته بصورة أيسر بل وبظهور الورق ظهرت جماعة جديدة هي جماعة الوراقين الذين كانوا يقومون بالتجارة في الورق ويعملون بالناسخة وغيرها.

وكانت الفترة الأولى من صناعة الورق تشمل استخدام المحققين لكافة الوسائل، واحتفاظ العلماء بما لديهم من نصوص على أنواع الورق المختلفة والجلود وغيرها ومن ابرز التطورات التي دخلت على الكتاب، الكيفية، والشكل الخارجي أما عن الكيف هنا فالمقصود به عدد أوراق الكتاب أو الجزء الواحد منه، والشكل الخارجي يشمل التجليد الخارجي.

فقد صار حصر الكتاب بعدد الأوراق، والورقة كما قال محمد بن إسحاق إنما تعني الورقة السليمانية التي يوافقها بن النديم. الورقة السليمانية تعني عشرون سطرا في الصفحة ولكن ليس معنى ذلك أن مقدار الورقة
في المخطوطات القديمة على نفس المنوال، بل تتفاوت من كتاب لآخر أو من

1-م, ن، ص:190.

صفحة لأخرى ثم نتج عن ذلك المجلد الذي يتكون من عدد من الورقات وتقدير المجلد عشر ورقات".[1]

لقد كان ولع العرب والمسلمين بالكتاب فوق العادة، هذا ما دفع إلى التفنن في صناعته التي أثرت المكتبات الخاصة بالمؤلفات، حيث كانت المكتبة تحوي على عدد هائل من الكتب، وهذا ما دفع بالمستشرقة الألمانية للتساؤل عن مكتبات التي كانت عند العرب الزاخرة بعدد هائل من المؤلفات وبين مكتبات اليوم.

"أين المكتبات الخاصة التي تشتمل كل واحدة منها على ما يتراوح بين عشرين وثلاثين ألف مجلد، كما جمعها من قبل أمثال الطيب صلاح الدين الخص والمسمى أبن المطران ثم الصيدلي الشهير بن التلميذ وكذلك بن القفطي المؤرخ؟".[2]

وهذا التساؤل يدل على مدى حرص المسلمين على العناية بالكتاب، فرغم ان مدة النسخ له كانت تطول إلا أنه لم ينقص من قيمته لإثراء المكتبات.

عندما كانت أوروبا تحت ظلام الجهل، فيما بين القرنين التاسع والثاني عشر ميلاديين كان نور العلم يشع على العالم الإسلامي وكانت القراءة والكتابة عند الأوربيين تنحصر عند فئة قليلة ومنها رجال الدين بينما كان العرب لهم علاقة بالمدارس وكان الصبيان يتوافدون عليها لتعلم القراءة والكتابة منذ سن مبكرة.

ونجد المستشرقة الألمانية تقارن بين حالة أوروبا وحال العرب في مجال القراءة :" وفي الأديرة كان عدد قليل جدا من الرهبان الذين يستطيعون القراءة والكتابة بل وفي دير القديس جالين لم يوجد في عصر من العصور راهب واحد يقرأ ويكتب وقد كان ذلك عام ألف ومائتين وواحد وتسعون للميلاد، إذ بنا في نفس العصر نجد في قرى ومدن البلاد العربية الآلاف الآلاف من المدارس

1-م.ن، ص:191-193.

2-زيغريد هونكة، شمس الله تسطع على الغرب، ص:292.

التي تضيق بالصبية من الجنسين وهم في السن بين السادسة والحادي عشر وكانوا

يتعلمون القراءة والكتابة، قراءة القرآن وكتابته، إذ كانوا يستخدمون لهذه الغاية ألواحا خشبية ومدادا أسود بني، ومن ثمة يتلون القرآن صورة صورة بعد أن يحفظوها ومن ثمة يتقدمون في الدراسة تدريجيا ويتلقون النحو والصرف وكان السر في تأسيس هذه المدارس الرغبة الصادقة في إبداء حسن الإسلام أولئك الذين يعتنقونه".[1]

وهذا يدل على إتساع الهوى في القراءة بين العرب والعجم، فبينما كانت القراءة مقتصرة على رجال الدين عند الغرب كان العرب يدخلون المدارس في السن السادسة لتلقي مبادئ القراءة والكتابة.

" ولقد كان لتلقي وتلاوة القرآن الجزء الأكبر في التعليم وهذا يدل على الحرص الكبير على تعلم مبادئ الدين الإسلامي للأجيال، وكان ذلك لنشر الثقافة والمعرفة بين طبقات المجتمع، ولقد قدم العرب لأوروبا كثيرا من المعارف والعلوم عن طريق البعثات التي كانت تدرس في الأندلس في العصور الزاهية التي كانت تعيشها الحضارة الإسلامية، لم يقدم العرب لأوروبا البناء فقط بل محتوياته أيضا عن العلوم والمعارف، فقد أهدوا لأوربا مواد الدراسة هذه اليونانية فالعرب قد اعترفوا بأهميتها وضرورة تدريسها لذلك أعطى العرب العلوم اليونانية والفلسفة اليونانية إلى أوروبا".[2]

إن الجهود التي بذلها العرب قدمت لأوروبا العلوم اليونانية والفلسفة من خلال الترجمة، قد بذلوا من أجل ذلك الكثير.

إن العلاقة الهادفة و المنظمة بين الشرق العربي و أصقاع الغرب،تبلورت بشكل جدي إبان نهضة الدولة العربية الإسلامية و انفتاح خلفائها على ما يفيد تطور مجتمعاتهم المتعطشة إلى ري حماس نشأتها الدينية و الدنيوية.فبالرغم من

1-م,ن, ص:297.

2-م,ن، ص:303.

أن ازدهار حركة الترجمة و النقل التي بلغت أوجها في الطور الثاني من العصر العباسي ،إلا أن إرهاصاتها تعود إلى ما هيأته مناخات التكوين المؤسساتي في الدولة الأموية ،و إلى ما قبل ذلك أيضا ،أي إلى ما حثت عليه سنن الشريعة الإسلامية و فتاوى الصدر الأول للإسلام من انفتاح نواته ،أن الإنسانية تكون تمداد للأمة كما أرادها و حلم بها التمني الإسلامي .ذلك أن الرغبة في تحقيق ما يعود بالنفع على الأمة العربية الإسلامية، قد أملت سياسة القيمين على القرارات

المصيرية بهدف إنفتاحها على ما عند الغير من إنجازات فكرية،و قد تخطت هذه الإنجازات الفكرية حدود " الأمن الأديولوجي "للدولة ،و لامست ما يهدد بزعزعة دعائم التماسك المطلوب بين الجماعة، ليبدأ ايحلال الدولة العباسية نتيجة تلقفها تنويعات الفكر الدخيل"الفلسفة الونانية مثلا "[1]

[1]- نديم وجدي ،أثر الإستشراق في الفكر العربي المعاصر، دار الفرابي،ط1،2005،ص:56.

الفصل الثاني:

التمجيد الاستشراقي للعلم

إذا رجعنا إلى تعريف الاستشراق هو ذلك العلم المتخصص في دراسة الشرق ثقافته ، لغته ، آدابه، علومه ، تاريخه ، حضارته .

المستشرق عرف قدر الحضارة العربية الإسلامية ، مما دفع بثلة من المستشرقين إلى دراسة هذه الحضارة ، التي كانت منبعا لمختلف العلوم من طب رياضيات ، فلك و غيرها من عدة علو .في **الطب** مثلا عرفت الحضارة العربية الإسلامية تطور في وسائل العلاج و طرقه و أدواته بينما كانت أوروبا تعاني من تسلط الكنيسة التي كانت تكبح كل من حاول التطرق إلى الطب " أما موقف الكنيسة منهم فمعروف فهي لا تثق فيهم و لا تعترف بهم كما لا تعترف الكنيسة بالدواء الذي لا تقرره الكنيسة أو الأطباء الذين لا تعترف بهم "[1]

هذا هو حال أوروبا في العصور الوسطى فتسلط الكنيسة كان لا يترك الحرية للتحرك في ميدان الطب، وهذا نجد العكس في الحضارة العربية التي عرفت حركة طبية لا مثيل لها، من خلال العلماء الذين برزوا في هذا المجال من أمثال **أبوبكر الرازي** ، **ابن سينا**،و **الزهراوي** ، وغيرهم كثير

"و قد أنشأ الخليفة العباسي **هارون الرشيد** المستشفى العام في بغداد ، أوائل القرن التاسع الميلادي، و لم يطل الزمن على ظهور ذلك المستشفى حتى أقيمت مستشفيات في سائر الجهات بلغ عددها 35 مستشفى ، وكان ذلك قبل حلول القرن العاشر ، ويأتي مستشفى ابن طولون في القاهرة في طليعة تلك المستشفيات و بقى يعمل ويسدي الخدمات مدة طويلة".[2]

إن اعتناء الخلفاء المسلمين بالمستشفيات يوحي بالتطور الذي عرفه العرب في مجال التطبيب ، ولقد ساعد الدين الإسلامي على الحرص على المحافظة على البدن قال تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[3] وكذلك الأحاديث

---

[1]- زيغريد هونكة، شمس الله تسطع على الغرب، ص:135.
[2]- عز الدين فراج، فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوربية .ص:116.
[3]- البقرة/195.

النبوية ، قال صلى الله عليه وسلم : "النظافة من الإيمان و الوسخ من الشيطان " فالنظافة كذلك عرف قدرها ابن سينا في مجال العناية بالصحة .

لقد كان العرب قبل مجيء الإسلام يمارسون طب تقليدي مبني على الحجامة و الفصد و الكي و البتر وماعدا ذلك فلم يكن لهم دراية بالجراحة و غيرها من الطب المتطور

ولما إنفتح العرب على الآخر عن طريق الاختلاط، و التجارة ،والحج، ونقلوا عنهم مختلف العلوم التي كانوا يتقنونها بفعل الترجمة و الاحتكاك بالآخر

و لم يبدأ اهتمامهم بعلم الجراحة إلا في عصر متأخر وكان لنقلهم كتب **أبقراط** ، و **جالينوس** ، أمر فعال في تقدم هذا النوع من الطب.

" و أول من ذكر علم الجراحة من مؤلفاته **محمد ابن زكريا الرازي** في عام 311- 320هـ الموافق لـ 922- 932م - ولكن كانت المحارصة في هذا الفرع بدائية ، و لم يصل علم الجراحة إلى درجة التقدم و المهارة إلا في العصر الأندلسي ،على يد أبي القاسم خلق بن عباس **الزهراوي** ، و لكن كان فضل الرازي في فروع الطب الأخرى لا ينكر".[1]

يعتبر **الرازي** رائد من رواد الطب العربي ، فقد وضع بصمته في تاريخ الطب العالمي و لم ينفرد بالطب فحسب بل كان نابغة في شتى العلوم من فلسفة، ودين، وفلك، و الطبيعة، و الرياضيات .هذه الموسوعية كان يتميز جل العلماء الذين عاصروا الرازي من ابن سينا إلى ابن رشد وغيرهم كثير .

ولقد ترك لنا أبوبكر الرازي عدة مؤلفات تخص الطب ، فلقد نفع الإنسانية بعلمه في هذا المجال وغيره من المجالات الأخرى.

"إن الحصاد الذي جنته الإنسانية من حياة الرازي بالإجتهاد و التعلم في سبيل الطب و تقدمه عظيم جدا فأخته خديجة تذكر أنه ترك أكثر من مائتين وثلاثين

[1]- م،ن . ص :145.

مؤلف و رسالة و هذه المؤلفات لا تعالج الطب أو الكيمياء بل تناولت كذلك الدين والفلسفة و الفلك و الطبيعة الرياضيات "[1]

الرازي لقد أثرى المكتبة بالمخطوطات في مختلف المجالات حتى في القصائد الغزلية .

وبعد الرازي ، نذكر أحد كواكب الطب العربي في تلك العصور التي كانت أوروبا خلالها تعاني من هيمنة الكنيسة و هو ابن النفيس.

كما قلنا عن **الرازي** الذي اتسم بالموسوعية . كذلك **ابن النفيس** رغم أنه طبيب عربي مسلم فهو فيلسوف.، و لغوي و اسمه بالكامل علاء الدين أبو الحسن القرشي ، ولد في دمشق عام 607هـ / 1210م ودرس الطب على يد عالم دمشقي اسمه مهذب الدين الدخوار . وتولى إدارة أكبر مستشفيات القاهرة (البيمارستان المنصوري).

" وهذا العالم العربي المسلم كان عبقرية عربية ، مارس التشريح في السر ،في الوقت كان فيه التشريح حرام وهو قد راجع ما جاء في كتاب القانون لابن سينا . وكان يفضل أبو قراط على جالينوس ".[2]

و اذا ذكر **ابن النفيس** فأول ما يتبادر إلى الذهن هو الدورة الدموية الصغرى الذي يعتبر أول من اكتشفها و من عرف وظائف الرئتين و الأوردة الرئوية و تعترف المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة بهذا العمل أن فكرة الدورة الدموية لم تخطر على بال جالينوس أما نظرياته الهوائية فقد شرحها كما فحصها في الكبد بمساعدة التدفئة الدخيلة حيث يتحول الطعام إلى دم يسيل جزء منه في الأوردة و يسير في اتجاه مستقيم إلى جميع الأعضاء و الأجهزة".[3]

وهذا ما اعترفت به المستشرقة الألمانية بأن مسألة الدورة الدموية لم تخطر ببال جالينوس وإنما يعود إلى ابن النفيس .

---

[1]- زيغريد هونكة ، شمس الله تسطع على الغرب.ص :162.
[2]- عز الدين فراج ، فضل العلماء المسلمين على الحضارة
[3]- المرجع السابق ، ص:177.

كما اكتشف **ابن النفيس** بأن القلب يتلقى غذاؤه من الدم الذي يجري في الأوعية الدموية التي تتخلل ، القلب وهو الذي أثبت أن الدم يندفع إلى الرئة ليتشبع بالهواء و أثبت أيضا أن هناك وصلات بين شرايين الرئة و أوردتها وهي تتحكم في الدورة الدموية داخل الرئة .

وكان في الإسلام في هذه الصناعة (الطب) أئمة جاؤوا وراء الغاية مثل الرازي و المجوسي و ابن سينا و من أهل الأندلس وأشهرهم ابن زهر و كان عند العرب من هذا الطب كثير وكان فيهم أطباء معروفون كالحارث بن كندة و غيره[1].

وبما أن لطب علاقة خاصة بحياة الإنسان فلقد اهتم الخلفاء المسلمون في العصر العباسي بترجمة الكثير من الكتب اليونانية، فلقد دفعوا الكثير من أجل هذه الترجمة التي ساهمت إلى حد بعيد في تطوير الطب العربي .

"ورغم ما جاء به العرب في العصور الوسطى إلا أننا نجد أن هناك إجحافا من المستشرقين في هذا الحق فلا يقرون بما جاء به الطب العربي من اختراعات و وسائل جراحة وخيوطها فكل هذا لا يقر ون به ، وتفند المستشرقة الألمانية ذلك في قولها:" وبالرغم من أن الغرب تنكر للعرب إلا أن المؤلفات العربية وبخاصة ما يختص منها بأمراض العيون ظلت متداولة حتى القرن الثامن عشر ، و قد دخل الكثير من الاختراعات العرب و تجاربهم القيمة الطب الدولي بالرغم من إخفاء الأسماء العربية و التغاضي عن ذكر فضل العرب ".[2]

بيد أن أشهر أطباء العرب ، و أسطعهم نجما كان **أبا علي الحسين بن عبد الله بن سينا** ، ولد في القرن العاشر و كان فارسي الأصل كالرازي و قد ظهرت

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة، الجزء الأول، دار الجيل بيروت، (دط)، (دس). ص:546.

[2]- المرجع السابق ، ص: 234.

عليه منذ طفولته سمات النبوغ ، فحفظ القرآن عن ظهر قلب و هو في العاشرة من عمره.

كان **ابن سينا** جواب آفاق على قسط عظيم من الذكاء . وعاش بعض عمرهم طبيبا للبلاط ، حيث اشتغل بالسياسة ، وحكم عليه بالسجن ذات مرة من هذا التآمر و كانت حياته نشاطا متصلا لا يعرف الهدوء ، تقاسيمه ولعه الشديد بدراسة الطب".[1]

و كان **ابن سينا** الملقب بأمير الأطباء (الشيخ الرئيس) مؤلفا لا يهدأ و لا يشق له غبار ، و قد جمع معظم آرائه الطبية في كتابه العظيم المسمى با (لقانون) و لا يزال لهذا الكتاب في الشرق مكانه من الاحترام و التقدير ، و هو يحتوي على باب يعد الآن من المعالم البارزة لطب الحديث و هو باب (رعاية المسنين و الشيوخ) و كان لابن سينا كما كان لأبو قراط حكم و تعاليم ضمن الكثير منها كتاب القانون .

وفي قرطبة عاصمة الإمبراطورية الإسلامية الغربية كانت توجد أكبر مكتبة في العالم يومئذ ، بيد أنه على الرغم من هذه الثروة الضخمة من الكتب فإن أطباء الغرب لم يبلغوا شأو زملائهم أطباء الشرق ، و لو أن ابا القاسم المراكشي ألف كتابا في الجراحة في القرن الحادي عشر قال فيه : " إن الجراحات نوعان : أولهما ينفع المريض و الآخر يورده في العادة موارد الهلاك." ولا بد أن كان هو نفسه جراحا واعيا ، لأنه بدأ كتابه و اختتمه بالشعار الذي اختاره وهو " احتياط"[2]

وأول ما أنشأ من المستشفيات في الدولة الإسلامية هو البيمارستان الذي بناه الرشيد في بغداد في الربع الأخير من القرن الثاني للهجرة . ثم تعددت المستشفيات في العالم الإسلامي بعد ذلك و أقدم مستشفى في مصر الذي بناه أحمد بن طولون في النصف الثاني من القرن الرابع هجري.، و قد ظهرت العيادات

---

[1]- جوزيف جارلند، قصة الطب، ترجمة سعيد عبده دار المعارف مصر (دط)، (دس)،ص:66.

[2]- م،ن،ص:66.

المتنقلة في العالم الإسلامي لأول مرة في القرن الرابع هجري ، و كان بالمستشفيات الإسلامية أجنحة خاصة بالنساء ، و كان لكل مستشفى صيدلية خاصة به ، كما كان ببعض هذه المستشفيات مكتبات طبية ، و قاعات تلقى فيها المحاضرات على طلاب العلم".[1]

أما العلم الثاني الذي وضع العرب فيه بصمتهم هو علم **الفلك** أو كما يسمى علم الهيئة و جاء في تعريف لابن خلدون لهذا العلم بأنه "هو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة و المتحركة و المتحيزة و يستدل من تلك الحركات

على أشكال و أوضاع للأفلاك لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية ".[2]

إن الطبيعة التي كان يعيش فيها الإنسان العربي فرضت عليه التفكر في الكون، فالصحراء التي كان يعيش بها جعلته يتدبر في هذا الفلك من كواكب ونجوم وشمس وقمر لقد اعتمد العرب أبناء الصحراء أكثر من غيرهم من أبناء الشعوب الأخرى كاليونان و الجرمان و الرومان على التأمل في السماء و مراقبة الأفلاك و النجوم ، فالعرب و هم البدو الرحل كانوا يتجولون ي اللانهائية الصحراء ولا يرون في حلهم وترحالهم إلا السماء و نجومها التي تحول ظلمة الليل إلى نهار وضاح لا شك أن هذه الظواهر الفلكية تترك في نفس ساكن الصحراء العربية أثر لن يدركه سكان الأقاليم الشمالية و إذا أضفنا إلى السماء بسطة الصحراء و سهولتها فلا جبال تنكسر عندها أشعة الأبصار و لا تلال و لا بحار أدركنا أثر كل ذلك في البدوي عندما يشاهد الأفق و الأفق البعيد تتخلله طبقات الهواء".[3]

من خلال تحليلنا لما جاءت به المستشرقة الألمانية يتبين لنا أن الطبيعة هي التي فرضت هيمنتها على العقل العربي في النبوغ في هذا العلم ، و هذا قد يكون

---

[1]- محمد عادل عبد العزيز ، الحضارة الإسلامية عوامل الازدهار و تداعيات الانهيار،دار الغريب ، القاهرة. (د ط)، 2000م،ص:211.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة،ص:539.

[3]- زيغريد هونكة، شمس الله تسطع على الغرب،ص:78.

منطقيا لأن ارتباطه كان بشيئين مهمين و هما الأرض و السماء ، فالأرض تعتبر مصدر رزقه نظرا لطبيعة معيشته ، و السماء لها علاقة بالنهار و الليل و بحالة الجو السائدة مما جعل العرب يتدبرون في الفلك قال تعالى: "﴿ لاَ ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلاَ ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ "[1] .

نظر القدامى و من بينهم العرب و المسلمين، إلى السماء فشاهدوا عددا من النجوم التي أحصوا منها ألفا وتسعة و عشرين نجما ، من بينها سبعة لا تخضع لقانون حركة النجوم فأطلقوا عليا اسم الكواكب ، تميزا لها من الأخرى التي أسموها بالثوابت وما هي في الحقيقة بثابتة أما الكواكب السبعة فكانت في نظرهم القمرعطارد، الزهرة، الشمس، المريخ، والمشتري وزحل ،أطلقوا عليها ،باستثناء الشمس و القمر اسم الكواكب المتحيرة و ذلك لأنها ترجع عن سمت مسارها نحو المشرق لتعود ثانية إلى المغرب.

أما النجوم الثوابت فقد ميز الأقدمون منها خمسة عشر نجما من القدر الأول (في الحجم و الضياء) و خمسة و أربعين من القدر الثاني ، و مائتين و ثمانية نجما من القدر الثالث و ثلاثمائة و سبعون من القدر الرابع و مائتين و سبعة عشر من القدر الخامس، و ثمانية و خمسين من القدر السادس و هذه هي أصاغر النجوم يضاف إليها تسعة أنجم شبه مظلمة، و بذلك يتم عدد النجوم المرصودة وحتى حينه ألفا و أثنين وعشرين نجما موزعة على سماء الشمالية و الجنوبية أشهرها إطلاقا:

الشعريان ، اليمانية و الشامية ، و النسران، الواقع و الطائر ، و السمكان الرامح والأعزل ، والفرقدان ، من النجوم المثاني : وبنات النعش الكبرى و الصغرى و الثريا ، و الجوزاء، و العقرب ، من النجوم المجامع : سهيل والدبران والعايوق و الجدي من النجوم المفردة "[2].

---

[1]- يس/39.

[2]- يحيى الشامي، و علم الفلك (صفحات من التراث العلمي العربي و الإسلامي)، دار الفكر العربي ط1، 1997م. ص:16.

و يذكر القفطي أن أول عالم عربي أهتم بالفلك هو محمد بن ابراهيم الفيزاري (النصف الثاني من القرن الثامن للميلاد)، و ذلك في بداية العهد العباسي و قد ورد اسمه في رواية مشهورة تقول إن الخليفة المنصور قد استقبل (حوالي سبعمائة و سبعين ميلادي) في بغداد وفدا هنديا ضم عالما بالفلك ، لم يذكر اسم هذا العالم الرواية تقول أنه كان يحمل نصا واحدا على الأقل باللغة السنسكريتية في علم الفلك، فإن هذا النص قد نقل إلى العربية تحت اسم زيج سندهاند.

بحضور العالم الهندي وتحت إشرافه وقد كلف الفيزاري و يعقوب بن طارق بهذا العمل و مهما تكن القيمة التاريخية لتفاصيل الوقائع المسرودة في هذه الرواية ، فقد أجمع المؤلفون الذين جاؤوا بعد المؤلفين الآخرين على أنهما اللذان أدخلا علم الفلك للمرة الأولى في العالم العربي استنادا الى مصادر هندية .

لقد ضاعت مؤلفات الفيزاري و يعقوب بن طارق ، و لكن بقي منها عدد من المقتطفات لدى الكتاب اللاحقين ، من المعروف أن الأول قد ألف زيج السندهند الكبير و تدل الاستشهاد اللاحقة المأخوذة من هذا الكتاب على أن الفيزاري قد مزج بين وسائط هندية وعناصر من أصل فارسي مأخوذة من زيج الشاه، وهناك آثار لثلاثة مؤلفات ليعقوب بن طارق ، زيج محلول في السندهند لدرجة تركيب الأفلاك ، و كتاب العلل ، و إن أسس الاستدلال في هذه الكتب الثلاثة هي نفستها التي اتبعها الفيزاري لقد كان لهذين المؤلفين الفضل الكبير في إدخال علم الفلك إلى العالم العربي ، ولكن مؤلفاته إذا حكمنا عليها من خلال ما تبقى منها ، تظهر كأنها تجميع لعناصر التي كانت تحت تصرفها، دون التحقيق منها با الرصد دون السعي إلى تماسك حقيقي داخلي .

إن أول كتاب عربي في علم الفلك نقل إلينا بكامله هو زيج السندهند لمحمد بن موسى الخوارزمي ، وهو يتبع التقليد السابق مع إدخال لعناصر من علم الفلك باطليموس ، لقد فقد نصه العربي ، وتم نقله بواسطة ترجمة لاتينية أنجزها

في القرن الثاني عشر للميلاد أستند إلى مراجعته كتاب أجراها المجريطي في الأندلس" .[1]

عاش **الخوارزمي** من نهاية القرن الثامن إلى منتصف القرن التاسع للميلاد ، إلى جانب أنه فلكي و هو كذلك رياضي و قد حرر كتابه في عهد المأموم لا يحتوي هذا الكتاب على أي عنصر نظري ، وهو عبارة عن مجموعة جداول لحركة الشمس و القمر و الكواكب الخمسة المعروفة، مع شرح طريقة استخدمها العملي إن أكثر الوسائط المستخدمة فيه هندية المصدر، وكذلك هي طرق الحساب الموصوف فيه وخاصة استخدام الجيوب، غير أن **الخوارزمي** اقتبس بعض عناصر الكتاب من الجداول الميسرة لبطل موس دون أن يسعى إلى تماسك مابين مختلف النتائج المأخوذة عن الهنود في أول الأمر وعن بطليموس بعد ذلك ، و هكذا نجد هنا نفس المشكلة في مؤلفات الفيزاري و ابن طارق و التي نتجت عن استخدام المصادر الهندية و الفارسية في آن واحد" .[2]

ولم يكد محمد بن موسى ينهي من دراسته حتى أمر الخليفة أن يساهم هذا العالم الشاب في قياس حجم الكرة الأرضية فسافر مع جماعة من الفلكيين إلى (سنجار) الواقعة غرب الموصل ، ومما هو جدير بالذكر هنا أن (أوطوستينس) كان قد قام بأول قياس للأرض بمساعدة الزوايا الضوئية للشمس ، أما فلكيو المأمون فقد حاولوا قياس الأرض بوسيلة أخرى نحوى نقطة خاصة انتقل جماعات من الفلكيين نحو الشمال وانتقلت جماعة أخرى نحو الجنوب و ظلت متجهة حتى بلغت مكان الجدي الصغير ، النجم القطبي ، الجماعة التي اتجهت شمالا تشاهد الصعود بينما الجماعة الأخرى التي اتجهت جنوبا تشاهد

---

[1]- رشدي راشد ، موسوعة تاريخ العلوم العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الجزء الأول ،ط1 ،1997م،ص:48.

[2]- م،ن .ص:49.

الهبوط فالمسافة بين الجماعتين عبارة عن درجة من دائرة نصف النهار و قد تمت هذه العملية بدقة تستدعي الإعجاب حقا". [1]

كان عمل الفلكيين (العرب) من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر يتم بشكل حصري ضمن إطار المخططات الهندسية الموروثة عن بطليموس و التي نقحت و انتقدت استنادا على أرصاد جديدة ، و في القرن الحادي عشر قام ابن الهيثم بتقرير شامل للملف العلمي المتراكم خلال قرنين في كتابة الشكوك على بطليموس و قد وضع فيه قائمة بالتناقضات الموجودة في كتب بطليموس المجسطي و كتاب الاقتصاص و البصريات ، تلك التناقضات التي أ ظهرتها أعمال الفلكيين السابقة و التي بقيت دون حل ، ولكنه لم يقترح حلا لهذه التناقضات ،ظهر اقتراح في الأندلس ، للرجوع إلى المبادئ الأرسطية و التخلي عن أفلاك التدوير و الدوائر الخارجة المراكز و العودة إلى الكرات المتحدة المراكز التي في أكثر تماسكا من وجهة المناظر الفيزيائية ، إن البطر وجي هو الممثل الأكثر تشخيصا لهذه المدرسة و هكذا أدى هذا المنهج إلى طريق مسدود و إن بقى مضمونه الفلسفي مثير الاهتمام ، أما الحل المقترح في الشرق فكان ذا طابع علمي ، و هذا ما نسميه بالفترة الثانية في علم الفلك الغربي ، اذ جرى البحث من أجل تحليل حركات الكواكب ، عن هيئات هندسية لأفلاك التدوير و الدوائر المنحرفة المراكز و كانت هذه الهيئات تستند إلى مبدأ مركزية الأرض ، و لكنها تخالفه لما وضعه بطليموس ، و لقد تم القسم الأكبر من هذا العمل على أيدي الفريق المشكل حول مرصد مراغة ".[2]

[1]- زيغريد هونكة ، شمس الله تسطع على الغرب،ص:82.
[2]- المرجع السابق ،ص:46.

من العلوم العقلية التي ترك فيها العرب المسلمون بصمتهم في التاريخ هو علم **الرياضيات** الذي يعتبر علما قائما بذاته .

تعتبر **الرياضيات** مثلها مثل العلوم الأخرى ، فلقد كان لها أثر في الآخر وهذا الإبداع و الابتكار الذي قدمه المسلمين في شتى مجالات العلم دفع كبار العلماء و المفكرين في أوروبا أن يعترفوا بالحقيقة و أن ينسبوا الفضل إلى أهله فقال جوستاف لوبون : " الكاتب و المفكر الفرنسي في كتابه حضارة العرب كلما تعمق المرء في دراسة المدنية الإسلامية تجلت له أمور جديدة ، و اتسعت أمامه الآفاق، و ثبت له أن القرون الوسطى لم تعرف الأمم القديمة إلا بواسطة علماء المسلمين، و إن جامعات الغرب عاشت خمسمائة سنة فكتب للعرب خاصة ، و أن المسلمين هم الذين مدنوا أوروبا في المادة و العقل و الخلق" [1].

إن هذا الاعتراف يعبر عن مدى تأثير العقل العربي المسلم في الآخر، و مما جاء به العقل الرياضيات التي تعتبر من أهم العلوم لأن بواسطتها تتم عدة مسائل ، و من بين فروعها الجبر .

كما أننا لو تساءلنا عن دور الجبر في تطوير علم الحساب ، بحيث يتحول من علم الأرقام المحسوسة إلى علم الرموز المجردة ، لأدركنا بعد الأخذ في حسابنا أن اسم الجبر نفسه عربي من ناحية الصيغة و الاشتقاق ، لأدركنا ما يدين به العقل الإنساني إلى العقل الإسلامي من وسيلة لا يستطيع بدونها السير و التقدم في ميدان علوم التقدير و الضبط.[2]

فلقد اشتغل العرب بالجبر ، و أتوا فيه بالأمر الكثير ، و لو لا العرب لما كان علم (حساب المثلثات) كما هو عليه الآن و يرجع الفضل للعرب في اكتشاف الأرقام و خاصة الصفر الذي اكتشفه محمد بن موسى الخوارزمي .

---

[1]- عز الدين فراج ، فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوربية،ص:

[2]- مالك بن نبي، القضايا الكبرى،ص:183.

يعتبر **الخوارزمي** مؤسس علم الجبر(847هـ)الذي نعرفه في أيامنا الآن وقد أتت كلمة الجبر من عنوان كتابه"المختصر في حساب الجبر و المقابلة" و تشتق كلمة خوارزم من اسمه ، وقد وضع الخوارزمي كيفية اختصار أي مسألة من واحدة من ستة صيغ قياسية باستخدام عمليتين الآلى تعرف بالجبر و الثانية هي مقابلة.

وتهتم الطريقة الأولى (الجبر)بنقل الحدود لحذف الكميات التالية مثل :

س = 40 ـ 4 س تصبح :5 س = 40.

و المقابلة هي العملية التالية و هي عبارة عن موازنة الكميات الموجبة المتبقية (لذلك إذا كان لدينا 50 + س 2 = 29 + 10 س تقوم المقابلة باختصارها إلى

2 س + 21 = 10 س)".[1]

ولقد تعترف المستشرقة الألمانية بمدى شهرة الخوارزمي بقولها :" و لاشك في أن الخوارزمي من أشهر العلماء الذين عرفهم العالم الإسلامي في تلك الفترة من الزمن و قد وقع عليه اختيار نصر العلم و العلماء ... الذي يخلد ذكر الخوارزمي فهو كتاب صغير في الحساب الهندي و هو يشرح فيه الأعداد و الحساب من جمع و طرح و ضرب و قسمة و كذلك الكسور و التضعيف و التصنيف ."[2]

فلقد كان **للخوارزمي** الأثر الفعال في علم الرياضيات التي يعد علما من أهم العلوم فلقد كان يستعمله المسلمون حتى في الأمور الفقهية و خاصة ما تعلق بأمور الميراث التي كانت تقوم على عملية القسمة، و يستعمل علم الرياضيات كذلك في مجال العمران .

---

[1]ـ زياودن ساردر، جيري رافتز، بورين فان لون ، علم الرياضيات ، ترجمة ممدوح عبد المنعم ، دار الكتب المصرية .2002.ص84.

[2]ـ زيغريد هونكة ، شمس الله تسطع على الغرب. ص:45.

نعرف أن الجبر له هدف مزدوج الأول هو التطبيق التقليدي لعمليات الحسابية بصورة تعبيرات جبرية ، و الثاني هو دراسة التعبيرات الجبرية بغض النظر عما تمثله و ذلك لكي نكون قادرين على تطبيق العمليات العامة.

"قام المسلمون بتوحيد الفكر الرياضي في كل الحضارات السابقة لهم حيث قاموا بدمج الجبر و العلاقات الحسابية البابلية و الصينية و الهندية بالعلاقات الهندسية اليونانية و الإغريقية و كنتيجة لذلك كان علماء الرياضيات المسلمون على درجة عالية من جرأة في التكامل مع العمليات الحسابية على الأرقام الصحيحة و الكسور و كذلك استخدام و تحويل الأرقام العشرية و السداسية و أيضا استخلاص الجذور التربيعية و العمليات على الأرقام الغير النسبية واستخلاص التكعيبة و دراسية معاملات ذوات الحدين و استخلاص الجذور التربيعية و الجذور الأعلى رتبة من ذلك"[1] .

وتوحيد الفكر الرياضي في كل الحضارات يتجسد في صورة خاصة من قضية الأرقام التي قد مرت بمراحل من حضارة إلى حضارة أخرى إلى أن ما وصلت ما عليه الآن .

الأعداد العربية مبتدئين بأصلها الهندي حتى غزوها أوروبا فسائر أنحاء العالم مبينين خط سيرها و الصفات التي اعترضتها و انتصارها لأنه لا يجول بخاطرنا اليوم و نحن نكتسبها و نفكر فيها كما لو أننا نفكر في لغتنا القومية و نجهل تماما المراحل التي مرت بها هذه الأعداد و المجهودات التي بدلها الكثيرون في سبيل تمكينها من النصر الذي أحرزته" .[2]

ولقد كان هناك ثلة من العلماء الذين برعوا في الرياضيات إلى جانب الخوارزمي ونذكر من هؤلاء :

بن يونس و ثابت بن قرة و القلصادي .

قام ابن يونس (ت 1009م) بتحقيق الصيغة التالية:

---

[1]- المرجع السابق، ص:83.

[2]- زيغريد هونكة، شمس الله تسطع على الغرب. ص:38.

$$جتا أ جتا ب = \frac{1}{2}\left(جتا(أ + ب)\right) \div \left(أ - ب\right)$$

بالرغم من أنها مبنية أساسا على علم المثلثات إلا أنها مكنتنا من تحديد قيمة الحاصل الضرب على صورة مجموع، و في الوقت كانت هذه المعادلة موفرة للجهد بطريقة كبيرة بعد ذلك أعطت هذه الصيغة إلى الصيغة الأساسية لحساب المثلثات الدائرية المستخدمة في هذه الأيام من خلال معادلة جيب التمام:

$$جتا أ = \quad جتا ب جتا ج + جا ب جا ج جتا أ$$

(حيث أن: أ هو طول الضلع الدائري و أ هي الزاوية المقابلة له)

كتب ثابت بن قرة (ت 901م) في نظرية الأرقام و استخدامهم في و صف النسب بين الكميات الهندسية و في خطوة لم يخطوها اليونانيون أبدا .

لقد ولد القلصادي ببسطة ثم انتقل إلى غرناطة و بها درس ، توقف طويلا عند ذهابه إلى الحج بتونس و أخذ على علمائها من ناحية و درس بها من ناحية ثانية إثر عودته من رحلته هذه استقر بغرناطة لتدريس و لكنه بارحها في آخر حياته إلى تونس ، و امتاز القلصادي بغزارة انتاجه الرياضي ، و هو ان لم يكتشف نتائج جديدة ذات أهمية ، فلقد ساهم في إعطاء لمحة كاملة و مفصلة عن المعارف الرياضية (و خاصة في الحساب و الجبر و الفرائض.)المتداولة في عصره.[1]

و قد قام عمر الخيام (ت 1123)بمناقشة إيجاد الجذور من الدرجات الرابعة و الخامسة و السادسة و الأعلى من ذلك بطريقة اكتشفها و التي تتضمن استخدام الهندسة و لكنها مكافئة لمثلث باسكال .

1- عبدالله بن علي الزيدان،السجل العلمي لندوة الأندلس،مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيزالعامة.1996.ص:69.

2- زياودن ساردر، جيري رافتز، بورين فان لون ، علم الرياضيات،ص:87.

ستنتج أبو الوفا (ت 998م) العلاقة التالية:[1]

جا(أ+ب)=جا أجتا ب+جتا أ جا ب

جتا 2أ=1-2جا2أ

جا2أ=2جا أجتا أ

الفصل الثالث

التمجيد الاستشراقي للفن

لقد أبدع العرب والمسلمون في مجال الفن، ووضعوا بصمتهم في هذا الميدان،

مما أسال لعاب الغرب للتعرف ،على هذا الإبداع الذي انفرد به المسلمون في مختلف فروع الزخرفة ،العمارة ،الموسيقى، وغيرها من الفنون.

لقد ركزت المستشرقة الألمانية على ما خلفه العرب في إسبانيا، من خلال مكوثهم بها ما ناهز ثمانية قرون. والبصمة التي خلفوها من بعدهم، بعدما كانت إسبانيا تحت الحكم القوطي لا تسمع بالحضارة ولا تشم ريحها.

" فهنا لا يوجد شيء وتنعدم كل مقومات الحضارة، وعندما جاء الفاتحون وأخذت الموجات العربية تعد من بلاد العرب ومن سوريا وليس حولهم من شعوب يقتبسون منهم شيئا ما، فهذه الثقافة الرفيعة العالية التي بلغتها العرب في إسبانيا هي خير ما يدحض هذه الإدعاءات القائلة بان العرب أخذوا الحضارات البائدة أعادوها ثانية أنهم مقلدون فقط، ولم يأتوا بجديد ففي إسبانيا لم توجد حضارة يقال أن العرب قد اقتبسوها وتعلموها وقلدوها والحقيقة التي يجب الاعتراف بها ان جمال الثقافة الأندلسية لم يكن فارسيا أو يونانيا بل كان عربيا وعربيا فقط وعندما اختفى العرب من إسبانيا انحطت البلاد وتدهورت حضارتها وخيم عليها الموت ولم تنتج شيئا".[1]

في هذا القول لزيغريد هونكة يتضح لنا مدى اعترافها بالحضارة العربية الإسلامية التي صنعها العرب و المسلمون في الأندلس من عمارة، زخرفة موسيقى، حدائق وغيرها من الأعمال التي يشهد لها القاص والداني.

واصطباغ إسبانيا بالصبغة الشرقية لم يخرج عن طريقها المرسوم بل أنه نجاها من أن تجذبها أوروبا معها في سقوطها الشنيع إبان القرن العاشر، ففي إسبانيا أوقدت الشعلة التي أضاءت الغرب وأنطلق البعث الرائع الذي يحق

1-زيغريد هونكة، شمس الله نسطع على الغرب،ص:389.

أن تفتخر به إذ نبتت فيها شجرة العلم التي أتت أكلها في العالم المسيحي كله بفضل المدارس الفلسفية في القرن الثالث عشر". [1]

ويوضح لنا هذا القول بأن الحضارة العربية الإسلامية ، قد أخذت بإسبانيا إلى التقدم والترف بعدما كان يعاني سكانها من ويلات الحكم القوطي الذي كان يتسم بالجهل والحياة الدنيئة، والمسلمون بفضلهم ازدهرت الحياة في إسبانيا الإسلامية ووضعوا المقاييس التي تبنى بها الحضارة، فقرطبة، وغرناطة وأشبيلية وطليطلة تلك المدن التي أنعشتها أنامل المسلمون من عمل وعلم وفكر.

في إسبانيا ظل حكم العرب ثمانية قرون كانت أزهى وأغنى العصور، ومن خير ما عرف على يد البيوت الحاكمة وهي عربية قديمة وهي بيوت أموية حكمت في قرطبة كما حكم العبا ديون في أشبيلية والناصريون في غرناطة بينما لم يقم البربر والمسيحيون إلا بأعمال تخريب والتدمير بخاصة أذا كانوا لم يتأثروا بالثقافة العربية والعقلية العربية، وفي شرق العالم العربي بعد القضاء على الأمويين على يد العباسين الذين في عهدهم توغلت العناصر الأجنبية في الحكم والسيادة وأنهم كانوا من العوامل المؤثرة في الثقافة العربية".[2]

فالمستشرقة الألمانية تعترف بما قدمه الحكم العربي أثناء تواجده بإسبانيا، فهي تثني على جهودهم في الإعمار، عكس ما يشيع في وقتنا الحالي بأن العرب همجيين لا يسيرون في درب الحضارة.

وكان لتشجيع الحكام و أثر كبير في ازدهار العمارة وبعض فروع الصناعة، كما تشهد بذلك أثارا كثيرة أقيمت طبقا لرغباتهم وتوجيهاتهم حسب اتجاهاتهم الثقافية، يغظ النظر عن جنسية الفنانين الذين أقاموها لهم، ومن هنا يتعذر في الفن الإسلامي تقرير وجود اتجاه عربي فارسي أو تركي أو هندي موحد، لأن المعماريين والصناع كانوا يستقدمون من مختلف البلاد الإسلامية على اختلاف

1-مانويل جميث مورينيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة السيد عبد العزيز سالم، لطفي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة، ص:7.
2-زيغريدهونكة، شمس الله تسطع على الغرب، ص:390.

اتجاهاتها الثقافية للقيام بتلك الإنشاءات طبقا لإرادة مستقدميهم وتوجهاتهم الخاصة، واستمرت هذه القاعدة خلال العصور الوسطى".[1]

فالدور الذي لعبه الملوك أثناء فترة الحكم يعتبر بمثابة الحجر الأساس لإبداع بفضل اهتماماتهم بالعمارة، جعلها تزدهر وترقى، وبجلبهم لليد العاملة من مختلف البقاع جعل نوعا جديدا يميز الحضارة الإسلامية.

ونحن نتحدث عن الفن، نتطرق إلى شيء انفرد به المسلمون أيام حضاراتهم الزاهية المعطاء، ألا وهو **الزخرفة**، فلقد كان لها نصيبها في العمارة الإسلامية وخاصة منها المساجد و القصور،

" الزخرفة واحدة من الوسائل المهمة التي تصنع الجمال، وهذا يوضح لنا السير في تبوئها مكان الصدارة بين الفنون الإسلامية الأخرى فهي العمل الخالص الذي لا يقصد به إلا صنع الجمال، وهنا يلتقي شكل العمل الفني بمضمونه ليكونا وحدة متماسكة لصنع الجمال ظاهرا وباطنا، الأمر الذي لا نكاد نجده في اي نوع آخر من الفنون.

وقد عرف المسلمون هذا الفن من بين الفنون جميعها، حتى قيل أن الفن الإسلامي فن زخرفي ، ذلك أنه لا يكاد يخلوا أثر إسلامي من زخرفة أو نقش مهما كان شانه، بدءا من الخاتم الذي تحلى به اليد.. انتهاء بالبناء الضخم الواسع الذي يجمع الآلاف من الناس.

وإنما أتجه الفنان المسلم إلى هذا الفن لأنه وجد فيه بغيته من حيث البعد عن دائرة الخطر في المنهج الإسلامي فهو بعيد عن التشخيص بطبيعته، وأستطاع الفنان المسلم بخياله الخصب ان يحقق الأمر الآخر وهو البعد عن محاكاة الطبيعة، وبهذا كان هذا الفن ملائما للمواصفات التي يحددها المنهج الإسلامي

1-أرنست كونل، الفن الإسلامي، ترجمة أحمد موسى، دار صادر، بيروت،ص:12.

وتعد العناصر النباتية وكذا العناصر الهندسية مقومات أساسية في بناء هذا الفن تتعاون مع بعضها تارة، وتنفرد كل منهما على حده تارة أخرى".[1]

وكان المهندس المسلم يستخدم جميع المواد وعناصر البنيان التي كان يستخدمها المهندسون المعماريون المسيحيون في العصور الوسطى، كما كان يستخدم كثير من العناصر والمواد التي تعلمها في المشرق، ولكن لم تخرج من بين يديه معابد وكنائس أنما أقتصر على بناء المساجد، فالفنان لم يكن صاحب الشأن وإنما كان أداة غير واعية للحياة الاجتماعية، وفيها تتأصل وحدة الإلهام وفيها يخرج أنموذج العمارة الإسلامية".[2]

ونتحدث عن العمارة الإسلامية التي تركها العرب في الأندلس إبان الحكم القوطي لإسبانيا، وفي هذا الجانب من العمارة نذكر أهم شيء وهو المسجد الذي يعد المقصد الوحيد الذي يقصده المسلم في مالا يقل عن خمسة مرات .

إن الشيء الملموس و المحسوس الذي يمجده المستشرقون هو تلك العمارة التي خلفها العرب و المسلمون في الأندلس،إنها بدون منازع تعتبر الحضارة الأرقى من حيث كل الجوانب.و هذا الفن مستوحى من العقيدة الإسلامية "إن مثل هذا الفن المعماري،كما يقول"oleg grapar" هو نقلة بصرية لرؤيا الكون في العقيدة الإسلامية".[3]

و تعتبر الأندلس بمثابة الشاهد على بصمة الفن الإسلامي في العالم، و يعتبر قصر الحمراء أحد هذه المعالم التي بقيت إلى الرسالة المحمدية تشهد على مبادئ الدين الإسلامي الذي يحث على إتقان العمل و التفنن فيه.

1-صالح أحمد الشامي، الفن الإسلامي إلتزام وابتداع، دار القلم، دمشق، ط1، 1990م،1410هـ، ص:170.

2-مانويل جومث مورتيو،الفن الإسلامي في إسبانيا، ص:9.

3 روجيه غارودي،وعود الإسلام،الدار العالمية بيروت ،ط1،سنة 1984م،ص:195.

المستشرقة الألمانية من خلال دراستها للفن الإسلامي تبدي إعجابها من خلال تعبيرها عن ذلك:"إسبانيا هي الحلم هي الأمنية إنها تاج العروبة،و التقدم الذي عرفته، ثم في إسبانيا أو كما يقول العربي الأندلسي وما حدث لم يكن قاصرا على عالم المرأة بل عام كل ناحية من النواحي الثقافية العربية.

" و هذه ظاهرة عجيبة حقا تستحق التفكير أكثر من سائر الافتراضات و العجائب التي جاءت بها الثقافة العربية ،و هذا يبدو و فيه شيء من التناقض فأخصب البقاع حضارة و ثقافة و مدنية هي تلك التي كانت فيها قليلة جدا و ذلك لندرة وجود العنصر العربي و حيث لم تقم من قبل حضارة هامة ،إن الحضارة الطارئة الغزاة لم تتأصل فيها لتزدهر و ظلت ضعيفة هزيلة بخلاف الحال في الأقطار الأخرى التي تشبه إسبانيا تماما و ذلك مثل صقلية و مصر و سوريا و العراق و إيران حيث نجد شعوبا مثقفة ثقافة رفيعة تلعب دورا هاما في الثقافة البشرية مثل الهيلينية و البزنطية و اليونانية و الفارسية و الهندية حيث تفاعلت مع الثقافة العربية".[1]

العمارة الإسلامية التي كان يشيدها المسلمون تتمثل خاصة في المسجد الذي يعد المقصد للعبادة ،فالإنسان هو خليفة الله في أرضه فلابد من إعمارها،و تعتبر تعاليم الإسلام هي من ساهمت في هذه العمارة.

إن الفن الإسلامي يعبر عن رؤيا الإسلام للعالم، هذه الرؤيا تحكم مصيره(أي مصير الفن) و مواضيعه و تقنياته و معجمه ألتشكلي.

"الفنون في الإسلام ، كما يقال ، يفضي إلى المسجد و المسجد يفضي إلى الصلاة إن بنيته الأساسية تذكر ببيت النبي صلى الله عليه و سلم : ساحة يطهر فيها الإنسان بالوضوء و رواق يحتمي فيه من الشمس و مشكاة صغيرة فارغة ــ محراب ــ تدل المؤمنين على اتجاه الكعبة" .[2]

---

[1]- زيغريد هونكة ، شمس الله تسطع على الغرب، ص :388.

[2]- المرجع السابق، ص:184.

لقد حرص الخلاف الأربعة السابقون له كما حرص نبي المسلمون نفسه على تجنب كل مظهر للبذخ و الترف فلما تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة و جعل دمشق عاصمة لها ، رأى أن الأمر يتطلب تشييد مساجد لا تقل فخامة على المعابد الوثنية و الكنائس الوثنية، و أن تكون له قصور لا تقل روعة عن قصور بيزنطة".[1]

ففي تشييد المساجد عبرة من العبر ، فالمسجد يعد أحد ركائز المسلمين ففيه تقام الصلوات الخمسة إلى جانب صلاة العيدين و هذا ما جعل المسلم يهتم ببناء المساجد زو الاعتناء بها و التفنن في بنائها و من هذه المساجد نذكر مسجد قرطبة و مسجد ابن طولون بالقيروان ، فلقد درس المستشرقون المقصد الوحيد للمسلمين ألا وهو المسجد ، فمسجد قرطبة مثلا قد تطرق إليه الكثير منهم في وصفه و طريقة بنائه: (هو بفضل قيمته الذاتية ــ مسجد قرطبةــ الوحيد المؤسس في إسبانيا من وحي الروح المبدعة المتفقة مع الطبيعة التي يحاكيها الإنسان بكفاية تامة، فلتاريخ و الفن أن يسعد به . إذ لو كان قد دمر لأحدث فراغا لا سبيل إلى سده ، فقد احتل بين الآثار الإسبانية المكان السامي إذ يصور الإزهار الإسباني الذي ظل ينطلق إشعاعه من الأراضي الإسلامية إلى أن تركز في إفريقيا على عهد الموحدين .

بني جدران المسجد من الحجر الجيري اللين المائل إلى الاصفرار في كتل طول الواحدة منها من 07، 1م إلى 1,15م وقد صنفت هذه الكتل على جوانبها الطولية و العرضية على التعاقب بحيث يبدو للعين وجهها الأكبر ثم وجهها الأصغر على التناوب ، و تتكرر في صفوف مقسمة على نحو يؤدي فيما بينها على الترابط و الأحكام وهذا ما يسمى في عرف المعماريين بالتعاقب طولا وعرضا.

[1]- أرنست كونل، الفن الإسلامي.ص:15.

وقد سبق المسجد الجامع بقرطبة جامع القيروان حاضرة بلاد المغرب الذي أسسه عقبة بن نافع سنة 675هـ و لكنه أعيد بناؤه المرة بعد المرة لم يستكمل صورته النهائية إلا في المطلع القرن التاسع.

إلا أن جامع قرطبة احتفظ بصورته دون أن يطرأ عليه تغيير جوهري و كان مثالا إحتذاه الفاطميون في مصر و انبعثت منه جميع صور التطور المعماري في الأفق الأندلسي و مظاهر التأثير الذي تتغلغل في اسبانيا المسيحية حيث وجه فن المستعربين و فن المدجنين و كان له جانب قيمته الذاتية أثر بالغ الأهمية و هذا ما يجعل التعمق في دراسة نشأته و تطوره ".[1]

و من بين الفن الذي اشتهر به المسلمون هو فن الزخرفة العربية للكتابة ،فنجد هذا الفن في معظم المساجد و القصور و من أمثلتنا على ذلك ما زخرفت به قصر الحمراء الذي كاد أن تغلب على زخرفته كتابة الاية الكريمة "لا غالب إلا الله".

و قد أخذت أوربا أيضا الزخرفة العربية للكتابة و ذلك لأن الفن العربي قد امتد إلى الكتابة فأتخذها مادة للزخرفة سواء كانت خطوطا أو آيات قرآنية حيث تعبر عن الأشياء المجردة أو المواضيع غير المجسدة كما أستخدم الأفقية منها في الزخرفة و ذلك باستخدامها كخيوط ذهبية ممتدة على الحيطان و الأعمدة في القصور و المساجد ،و هذا مظهر من مظاهر الرغبة في التجرد من الحساسية

و هذه خاصية من خواص العقلية الإسلامية و هي ليست جديدة في العقلية الشرقية ،لذلك لم يجد القرآن ضرورة لإصدار الحكم بخصوصها".[2]

و يعتبر هذا التأثير تمجيدا للحضارة العربية ،فتأثر أوربا بفن الزخرفة ليس بالعاطفة ،و إنما الجمالية التي كان يضفيها هذا الفن إلى جمال المكان ،فالزخرفة الكتابية تضفي خصوصية جمالية للمكان الذي تكون فيه.

---

[1]- مانويل جوميث مورنيو،الفن الإسلامي في إسبانيا،ص:23,24.

[2]-زيغريد هونكة، شمس الله تسطع على الغرب، ص: 398.

وبالتدريج و خلال مدة وجيزة ،استطاع الفنان المسلم أن يجعل للملمة وظيفة أخرى مرئية إضافة إلى وظيفتها المسموعة ،و ما إن ولجت الكلمة هذا الميدان الجمالي حتى بدأ التطور يسير بها في خطوات حثيثة ،واكبت خطوات فن الزخرفة ،بل تقدمتها.....و كان بين الفنين وثيق،إن آيات القرآن الكريم قد ملأن على المسلمين حياتهم ،فهي منهجها و بها قوام صلاتهم ،و تلاوتها تقربهم إلى خالقهم ،وترتيلها نوع من العبادة ،ومن لم يكن القرآن لحن لحياته فليراجع صلته بالإسلام .

من هذا الواقع المشدود إلى القرآن الكريم برزت قضية إمتاع العين بهذه القداسة مشاركة لها مع الأذن في متعتها بسماع تلك الآيات الكريمة ،فزينت جدران المساجد بالآيات....

"و منها انتقلت إلى مجالس الناس..وعم هذا النوع من الزينة ، الأمر الذي تطلب زيادة عدد الخطاطين لتلبية الحاجة الملحة ،و أصبحت سوق الخط رائجة ..و ظهرت المنافسة ،فتعددت الخطوط و كثرت أنواعها".[1]

لم يقف الفنان المسلم في فن الخط عند حدود الحرف و تحسينه و تجميله و إبداعه ،بل قطع شوطا آخر ،إذ جعل الحرف نفسه مادة زخرفيه ،فتحولت لوحات الخط إلى لوحات جمالية زخرفيه...

فإذا أمعنت النظر فيها ،استطعت أن تلمح الأحرف و هي تطل عليك من و راء الحجاب ،و قد زادها ذلك البرقع بهاء و حسنا .فإن التعبير الجميل يقدم لفكرك المتعة ،من خلف المشهد الفتان الذي متعت ناظريك به.

و إنك لتعجب من قدرة الفنان على التحكم في اللوحة ،إذا أستطاع أن يحمل الحرف مهمتين في آن واحد ،المهمة التعبيرية و المهمة الزخرفية ،ثم جعل من المهمة الثانية جلبابا للمهمة الأولى ،الأمر الذي يغريك بالتأمل و النظر ... وهكذا يأخذ بيدك إلى مواطن الجمال برفقة و أناة.

[1]-صالح أحمد الشامي، الفن الإسلامي التزام وإبداع، ص:189.

و بين الكتابة و الزخرفة كانت ثمار بعض اللوحات في أمرها ،إذ يتنازعها عنصران متماثلان ....فتارة تكون الزخرفة في الحرف زينة و يظل الحرف واضح المعالم ،و تارة يغيب الحرف تماما ليصبح زينة محضة يحتاج إلى بذل جهد لاكتشافه".[1]

"إن الفن الإسلامي و إسهامه الكبير في الفن العالمي ،و المشاركة الكبرى التي يمكن أن يقدمها لبناء مستقبل العالم المشترك،لا يمكن أن يفهم ــ كالعلم ، و الحياة الاجتماعية أو الفلسفية إلا انطلاقا من مبدئه المنظم :الذي هو العقيدة الإسلامية .لقد كانت دائما رخيصة محاولات شرح الكب بالاستناد إلى عناصره

و أرخص منها أيضا كانت محاولات شرح الكل بالاستناد إلى أحد هذه العناصر".[2]

لقد اكتسح الفن المعماري العربي أوروبا، و لقد تأثر به الأوروبيين مما جعل يبنون قصورهم و كنائسهم على شاكلة الفن المعماري العربي،وهذا التأثير راجع إلى مدى إتقان الفنان المسلم للبناء في بلاد أوربا.

ومع مرور الزمن أخذ الفن المعماري العربي يتغلغل في داخل القارة الأوربية و أصبحت هذه البلاد وطنا للفن العربي، قرونا طويلة فنجد الغزاة المسيحيين للأندلس يشيدون قصورهم وكنائسهم حسب الفن المعماري العربي الذي استولى على قلوبهم واضطرهم إلى الاستعانة بالفنيين العرب، وما زلنا إلى اليوم نشاهد هذا الفن العربي المعماري.

وهذا الاعتراف يدل على تمجيد الفن المعماري العربي الذي خلف المسلمون في بلاد أوربا وقد أصبح يدر أموال للبلاد التي وضعت فيه قواعده، فمثلا اسبانيا التي نالت حظها من هذا الزخم المعماري فلقد أصبح مقصدا للسواح الذين انبهروا بهذا الفن وخاصة منها قصر الحمراء، جامع قرطبة، مدينة

---

[1]-م،ن، ص:200.

[2]-روجيه غارودي، وعود الإسلام، ص:182.

الزهراء إضافة إلى طرق الري فأصبحت الأندلس أنذاك عبارة عن جنة فوق الأرض.

ولقد أختلف الفن الإسلامي من عصر إلى آخر، فكل عصر له مميزاته الخاصة التي يتميز بها.

إن الآثار القليلة الباقية من قصور الخلفاء الأمويين وقلاعهم، في دمشق لا تكفي لإعطاء صورة عن مظاهر حياتهم، والواقع أن أكثرهم كانوا يفضلون الحياة في البادية لملامتها لطبيعة نشأتهم، وقد أنشأ بعضهم لذلك قصور ومعسكرات في الحيرة وقصور اللهو في الأردن، وفي مواضع في الصحراء السورية حيث كانت تنموا نباتات محدودة في فصل الأمطار، وكان الماء يجلب لهذه القصور من مساحات شاسعة، وبقي منها نموذجان رئيسيان هما:

قصر المشتى، وقصر العمرة كما اكتشفت في السنين الأخيرة بقايا لقصور المضجر قرب البحر الميت، والخير الغربي والخير الشرقي، والرصافة، والملية.

وقد أكتشف قصر العمرة سنة ألف وثمانمائة وثمانية وتسعون على يد (موزل)، وكان الخليفة الوليد يقيم به للصيد والاستجمام، ويرجح أنه كان يضم قاعة ذات أقبية ثلاثة بغير ركائز، وقاعة رئيسية، وحجرات صغرى بحمام.[1]

فالفن الأمي حسب الآثار القليلة المتبقية يدل على ضعفه في هذا العصر وهذا راجع إلى تفضيل الأمويون الحياة البادية.

ولما انتقلت الخلافة من الأمويون إلى العباسين دخل عنصرين إلى الخلافة العباسية وهما العنصر الفارسي والعنصر التركي مما نتج عن ذلك من تلاقح للفنون.

ورغم الإجراءات التي أتخذها الخلفاء العباسيون بعد ذالك للحد من تغلغل العنصر الفارسي، كاتخاذ حراس من الأتراك، وأثارهم الأقاليم الطورانية

[1]-أرنست كونل، الفن الإسلامي، ص:21.

الموالية لهم استطاع بعض الزعماء الفرس المسلمون الاستقلال بأقاليمهم عن السلطة المركزية في بغداد مستغلين عقيدتهم الشيعية، واستطاع الفنانون الفرس في عهد البويهيين والصفاريين والطاهريين والسمانيين وغيرهم إحياء التقاليد الساسانية ودفعها إلى الازدهار والانتشار من جديد وكان الخليفة العباسي المنصور حينما شرع في بناء عاصمته الجديد على شط دجلة، قد اختار لها تخطيطا على شكل دائرة كاملة، يحيط بها سور رئيسي ذو أبراج مستديرة، وسور آخر أمامي، وجعل لمساحة السكن فيها أربعت مداخل ضيقة طويلة، مرتبطة بشارع دائري من الداخل والخارج وبذلك تقسمها إلى أربعة أرباع دوائر، يشتمل كل منها على أزقة متشعبة يتراوح عددها بين ثمانية واثني عشر، أما الطرق المؤدية إلى المركز فكانت على هيئة بوائك مكشوفة، وأقيم قصر الخليفة والجامع في الوسط منعزلين".[1]

[1]- م،ن، ص:32.

أما فيما يخص **الموسيقى** فقد كان زرياب أحد البلابل التي غرد صوتها في هواء الأندلس، فلقد كان أحد نجوم الموسيقى التي تسمعها القلوب قبل الآذان.

وكان زرياب من أعلام المغنين بالشرق أخذ الغناء عن اسحاق الموصلي وتفوق تفوقا كبيرا خاف على أثره من معلمه اسحاق لقربه من الخليفة الرشيد، فهاجر إلى الأندلس سنة مائة وستة وثلاثون ووصل إليها مدة عبد الرحمان بن الحكم فبالغ في إكرامه وأفاظ عليه من إنعامه، بما كان يقدر دخله بأربعة آلاف دينار، وجعله عمدة المغنين وقد رقى زرياب صناعة الغناء بالأندلس اخترع للموسيقى نظاما جديدا وأضاف إلى العود وترا خامسا وكان قبله على أربعة أوتار فقط، ووضع طرقا للغناء أصبحت علما خاصا فاشتهرت به الأندلس لتفوقها فيه ولا يزال أثره فيها إلى الآن.

والرقص الإسباني الحالي هو ذلك الرقص العربي اتصلت به خفة الراقصات ورشاقتهن وتفننهن في حركاته في جيئاته وروحاته، وبالجملة قد انتهى القرن العاشر المسيحي بعظمة الحكم الأموي بالأندلس، بعد أن استمر ثلاثة قرون مصدرا لكل أنواع المدنية، ومظهرا لعظمت الحضارة الأندلسية، في طرف من الأطراف المسكونة، ولقد كانت المكاتب العمومية والخصوصية مدة حكمهم غاصة بنفائس الكتب".[1]

وذلك لأن الغرب كانوا منذ أقدم العصور شعبا محبا للغناء يعشق الغناء عشقا لا يدانيه فيه شعب آخر فالموسيقى كانت تلازم العرب طوال حياتهم فكل عواطفهم كانوا يحولونها إلى غناء فنجد غناء العمل وفرح اللعب وفرح الحب وألمه الرغبة الشديدة إلى الحرب أو في الثأر والحزن على الموتى، ففي العصر الجاهلي تقوم طائفة المغنين والغنيات وفي عصر الاستقرار نجد المغنيات اللواتي كن يغنين بمرافقة الآلات الوترية، كانت المغنية من مستلزمات الحياة في البيت مثلها مثل البيان في كل غرفة جميلة في القرن التاسع عشر أو المذياع في كل غرفة جلوس في القرن العشرين، ولم تكن تلك الموسيقى من هذا النوع الغريب إلى آذاننا اليوم المشهور بنغمته الواحدة فالغناء في النغمة الواحدة نشأ

[1]- محمد لبيب اليثنوني، رحلة الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، دط، دس، ص:176.

أولا بعد خراب بغداد على يد المغول وظهر ربع النغمة وهي نغمة ليست عربية فعلى النقيض من ذلك نجد الأنغام العربية كانت غنية متنوعة مثلها مثل الفن العربي".[1]

عندما أخذ الإسلام بالتغلغل في شبه الجزيرة انطلاقا من النصف الأول للقرن الثامن، كان يوجد في الشرق، من قبل أدب غني، بالنظرية الموسيقية.

كانت هناك مدرستان ناشئتان، في مكة وفي المدينة، قد طورتا في ما وراء القصائد التي كانت تنشد قبل الإسلام (المعلقات) بيت الشعر (وبخاصة ذي المقاطع الثمانية) أناشيد الرثاء وشكلا من الفن حيث فاز اللحن باستقلاله الذاتي بالنسبة لنص القصيدة.

وفي ظل العباسين حيث كانت السلطة، ولا سيما الخليفة هارون الرشيد (في نهاية القرن الثامن).

ترى في الموسيقى رمز ثقافة الأسرة الحاكمة فإن النظرية والتعليم وتطبيق الفن الموسيقي الذي اغتنى في بغداد للتقليد الفارسي العظيم، فقد تطورت في آن واحد.

ووضع إسحاق الموصلي والكندي تصنيفا للفنون تبعا لإمكانيات العود الذي أضاف إليه وترين آخرين.

وقد كتب كبار الفلاسفة العرب الموسيقى كتعبير أول عن تطور الإسلامي للعالم وللأبعاد الإلهية للحياة.

وكان أهم تأليف هو الذي قام به الفارابي: كتاب الموسيقى الكبير فالجزء الأول من بحث الفارابي يتعلق بالتأليف الموسيقى ويحتوي على تحليل للوزن والفواصل مع تعريفاتها الرياضية والهندسية معا، وأشكال التناغمات وتغيرها.

ثم يدرس مختلف الآلات و وضيفتها في جملة من تعدد الأصوات.

---

[1]- زيغريد هونكة، شمس الله تسطع على الغرب، ص :110.

بعد الفارابي ومستوحيا منه، يطور بن سينا النظرية الرياضية للموسيقى.

وأخيرا يجيء الصوفي العظيم الغزالي فيكرس الكتاب الثاني من مؤلفه (إحياء علوم الدين) في الاستخدام الحسن للموسيقى للغناء من أجل الحياة الروحية.

(كتاب أدب السماء الوجد) وهذا المؤلف المكتوب في مطلع القرن الثاني عشر هو واحد من أهم المباحث في السماء الروحي للموسيقى فهو يطيل قضايا كتاب المحاسبين.

يفرق الغزالي الموسيقى الروحية عن الموسيقى الرامية فقط إلى لذة الحواس. فالأولى وحدها في رأيه هي قابلة للتبرير أخلاقيا.

يمكن أن تكون مجردة تلاوة للقرآن. فمن يصغي إليها يجب أن يكون إصغاءه بقلب نقي من أجل ان يكون قابلا للتأثر تماما.

وإذا كانت الموسيقى أقل ارتباطا بمقتضيات التعليمية وبضغوط السلطة فإنها اتبعت مسارا إتخذ فيه اتساق الأصوات أهمية متزايدة بالنسبة للنص، مزودا برسالة لا غموض فيها، وتغلبت الدلائل العواطف الشخصية أكثر فأكثر على مفارقة الأشكال المجردة.[1]

[1]-روجيه غارودي، الإسلام في الغرب، ترجمة ذوقان قرقوط، دار دمشق، ط1، 1995م ص:210-213.

خاتمة

تعد المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة من أشهر المستشرقين الذين دافعوا عن الإسلام في الغرب، وهي مستشرقة من الطراز الفريد لقد أحبت الإسلام وواجهت التهم الملفقة التي يلصقها الغرب بالعرب والمسلمين.

زيغريد هونكة تعتبر من أشهر المدافعين عن الإسلام في الغرب، فهي أول باحثة أوربية تفند الأحكام المغلوطة والتهم الملفقة التي ألصقها الغرب بالعرب والمسلمين، ولهذا حرص المسلمون على تكريمها كلما زارت دولة إسلامية، وصار لها مكانة كبيرة في نفوس العرب والمسلمين.

فهي من المستشرقين المنصفين الذين درسوا الحضارة العربية الإسلامية وفهموا حقيقة الإسلام وأشادوا به كدين عالمي صالح لكل زمان ومكان وكان كتابها يدافع عن الحضارة الإسلامية تبيانا لتأثيرها في العالم الغربي كما نشرت كتابا آخر بعنوان" ليس الله كما يزعمون " دفاعا عن العرب والمسلمين كشفت فيه عن كل الأحكام المسبقة والمغلوطة التي روجت في الغرب ضد الإسلام وأهله، وجاء كتابها الثالث" التوجه الأوروبي إلى العرب والإسلام... حقيقة قادمة وقدر محتوم" ليبرز دور الحضارة العربية الإسلامية في نهضة أوروبا التي عاشت قرونا طويلة في ظلمات من الجهل والتخلف، كانت فيها الحضارة الإسلامية في أوج تقدمها وازدهارها.

وإذا كان تمجيد هونكة للحضارة العربية الإسلامية يجب علينا رد فعل لهذا التمجيد وقراءته قراءة معمقة وفهم تأثيره على العقول العربية.

ورغم ما قدمه قلة قليلة من المستشرقين للاعتراف بحضارة الإسلام إلا انه يبقى هناك شك في هذا التمجيد وهو إلهاء العقل العربي عن إنتاج الأفكار الحية البناءة التي تساعده على مسايرة وقته.

ومن النتائج المستخلصة من هذا البحث ما يلي:

1-في الثقافة:

_ اعتراف هونكة بالمعجزة العربية التي قام بها أبناء الصحراء،في بناء حضارتهم من العدم، وفرض سيادتهم على الشعوب ذات الثقافات الركيكة.

_إخراج التراث اليوناني إلى النور،وبعث المخطوطات وإتقانها.

_تعلق المسلمين بالمكتبات وحرصهم الشديد على العناية بالكتاب والتفنن في النسخ.

2-في العلم:

_تفوق العرب في مجال الطب،وانفرادها به،عكس ما كانت تعيشه أوربا من تسلط الكنيسة من كبح للعلوم.

_انفراد الخوارزمي في علم الرياضيات،وتأسيسه لعلم الجبر.

_نقل الأعداد على طبق من العرب لأوربا.

3_في الفن:

_الاعتراف بجمال الثقافة الأندلسية، وتميزها عن سائر الثقافات الأخرى(فارسية، يونانية.).

_تمجيد للعمارة الإسلامية التي شيدها المسلمون في الأندلس.

الملاحق

أشهر المدافعين عن الإسلام في الغرب زيغريد هونكة،مستشرقة من الطراز الفريد

•أحبت الإسلام، وواجهت التهم الملفقة التي يلصقها الغرب بالعرب والمسلمين .

•كشفت زيف الأحكام الأوربية المسبقة عن اضطهاد الإسلام للمرأة .

•أبرزت دور الحضارة العربية الإسلامية في نهضة أوربا التي عاشت قرونا طويلة في ظلمات من الجهل والتخلف .

•كتابها الشهير "شمس الله تسطع على الغرب" ترجم إلى 17 لغة، وهو رسالة لكل أوربي حر يسعى لمعرفة حقيقة الإسلام التي شوهها الإعلام الغربي• .

فهي من المستشرقين المنصفين الذين درسوا الحضارة العربية والإسلامية، وفهموا حقيقة الإسلام، وأشادوا به كدين عالمي صالح لكل زمان ومكان، وقد أصدرت عام 1960م كتابها الشهير "شمس الله تسطع على الغرب"، دفاعا عن الحضارة الإسلامية، وبيانا لتأثيرها في العالم الغربي، وترجم هذا الكتاب إلى 17 لغة، وبيعت منه مليون نسخة، ثم نشرت كتابا آخر بعنوان "ليس الله كما يزعمون" دفاعا عن العرب والمسلمين، كشفت فيه عن كل الأحكام المسبقة والمغلوطة، التي روجت في الغرب ضد الإسلام وأهله، وجاء كتابها الثالث "التوجه الأوربي إلى العرب والإسلام.. حقيقة قادمة وقدر محتوم"، ليبرز دور الحضارة العربية الإسلامية في نهضة أوربا التي عاشت قرونا طويلة في ظلمات من الجهل والتخلف، كانت فيها الحضارة الإسلامية في أوج تقدمها وازدهارها .

وقد نالت هونكة عددا من الأوسمة والأنواط، ومنحتها مصر وسام النجمة الكبرى تقديرا لجهودها في الدفاع عن القضايا الإسلامية، وكان لها تقدير كبير في العالم الإسلامي، وتلقت أكثر من عشرين دعوة من رؤساء دول وحكومات وجامعات عربية وإسلامية، وكانت معروفة لدى وسائل الإعلام والهيئات والمؤسسات الإسلامية،وتستقبل وتودع بحفاوة أينما حلت .

دراسات منصفة:

بدأت هونكة –التي توفيت في نوفمبر 1999م عن عمر يناهز 83 عاما– رحلتها المنصفة للإسلام بدراسة الفلسفة والأدب وعلم النفس وعلم الأديان المقارن، وتعمقت في هذه العلوم وبرزت فيها، وانطلقت في دراسة الإسلام من منابعه، وليس مما يروجه الغرب عن هذا الدين الحنيف . وعندما تعرفت حقيقة الإسلام، أوضحت هونكة لغير المسلمين الصورة الحقيقية للإنسان المسلم، وكشفت زيف الأحكام الأوربية المسبقة عن اضطهاد الإسلام للمرأة، وبينت للأوربيين التأثير الواضح للحضارة العربية الإسلامية في التطور والنهضة الأوربية في كل المجالات كالطب والهندسة والعلوم والثقافة .

شمس الله: والذي يطالع ما كتبته هونكة يدرك مقدار إنصافها للإسلام وحضارته، في زمن قل فيه المنصفون، حتى من أبناء الإسلام، فنجدها في كتاب "شمس الله تسطع على الغرب" تدلل على فضل العرب على حضارة الغرب، وتذكر أمثلة لأربع وأربعين كلمة عربية تشمل ألفاظ التحضّر، وتشير إلى عام 751م عندما توسع العرب الذين استعانوا ببعض العمال الصينيين في صناعة ورق رخيص لأول مرة من الكتان والقطن، وبانتشار الورق نشطت الكتابة والتأليف، كما أدى هذا فيما بعد إلى اختراع فن الطباعة، وتؤكد أن العلماء العرب وضعوا نظرية تركيب البارود المندفع "الصواريخ" في القرن الثاني عشر، كما أن الأرقام العربية –بما فيها الصفر– انتقلت إلى بلاد الغرب، وقامت بدورها في العلوم والرياضة والاقتصاد، وكذلك الدنانير الفضية والذهبية العربية سالت في الأسواق الأوربية بكميات كبيرة نتيجة التبادل التجاري بين المسلمين والأوربيين، وكانت هذه الدنانير العملة الأساسية لقرون عديدة في كل العالم المتحضر آنذاك .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش.

المصادر:

1-عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة الجزء الأول، دار الجيل بيروت (دط)، (دس).

2-زيغريد هونكة، شمس الله تسطع على الغرب، ترجمت فؤاد حسين علي، مكتبة رحاب، دط، 1986م.

المراجع:

3- إبراهيم القادري بوتشيش، إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي ،دار طليعة، بيروت،ط1،2002م

4- أحمد موسى سالم، لماذا ظهر الإسلام في جزيرة العرب، دط، دس، دار الجيل، بيروت

5- إسماعيل عمايرة، المستشرقون والمناهج اللغوية، دط، دس، دار وائل للنشر

6- أرنست كونيل، الفن الإسلامي، ترجمة أحمد موسى، دار صادر، بيروت

7- برند مانوئيل فايشير، الشرق في مرآة الغرب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دار سراس، تونس،دط، 1983م

8- جميل عبد الله محمد المصري، دواعي الفتوحات الإسلامية ودعاوي المستشرقين، دار القلم ،الدار الشامية، ط1، 1991م.

9- جوزيف جارلند، قصة الطب، ترجمة سعيد عبده دار المعارف مصر (دط)، (دس)،

10- حسين محمد سليمان،التراث العربي الإسلامي،ديوان المطبوعات الجامعية

11- عبد الله بن علي الزيدان، السجل العلمي لندوة الأندلس،مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة.1996

12- عز الدين فراج، فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر العربي،دط، دس

13- رشدي راشد ، موسوعة تاريخ العلوم العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الجزء الأول ،ط1 ،1997م

14- روجيه غارودي،وعود الإسلام،الدار العالمية بيروت ،ط1،سنة 1984م.

15_ روجيه غارودي، الإسلام في الغرب، ترجمة ذوقان قرقوط، دار دمشق، ط1، 1995م.

16- زياودن ساردر، جيري رافتز، بورين فان لون، علم الرياضيات ، ترجمة ممدوح عبد المنعم ، دار الكتب المصرية .2002

17- صالح أحمد الشامي، الفن الإسلامي إلتزام وابتداع، دار القلم، دمشق، ط1، 1990م،1410هـ

18- مالك بن نبي، القضايا الكبرى، دار الفكر،بيروت، دط، 2002م

19- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر، بيروت، ط4، 1984م

20- مالك بن نبي، تأملات ،دار الفكر،ط5، 1991

21- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات آفاق، دار الغرب الإسلامي، ط1، 62000

22- نديم وجدي ،أثر الإستشراق في الفكر العربي المعاصر، دار الفرابي،ط1،2005.

23- محمد عادل عبد العزيز ، الحضارة الإسلامية عوامل الازدهار و تداعيات الانهيار،دار الغريب ، القاهرة. (دط)، 2000م

24-مانويل جميث مورينيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة السيد عبد العزيز سالم، لطفي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامع

25- محمد لبيب اليثوني، رحلة الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، دط، دس

26- يحيى الشامي، و علم الفلك (صفحات من التراث العلمي العربي و الإسلامي)، دار الفكر العربي ط1، 1997

فهرس الموضوعات

المحتويـــــــات

العناويـــن الصفحة

-مقدمة.....أ

-مدخل.....2

الفصل الأول:

تمجيد الإستشراق للثقافة

-العقل.....10

-الترجمة.....12

-صناعة الكتاب.....17

الفصل الثاني:

تمجيد الإستشراق للعلم

-الطب.....25

-الفلك.....30

-الرياضيات.....35

الفصل الثالث:

تمجيد الإستشراق للفن

-

الزخارف.....41

-الموسيقى.....52

-خاتمة.....56
-الملاحق.....59
-المصادر والمراجع.....63
-فهرس الموضوعات.....67